٣٦

مجالس تفسير

سورة الأحزاب

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني

حفظه الله

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى

مجالس تفسير

سورة الأحزاب

٣٦

مجالس تفسير

سورة الأحزاب

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني

حفظه الله

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى

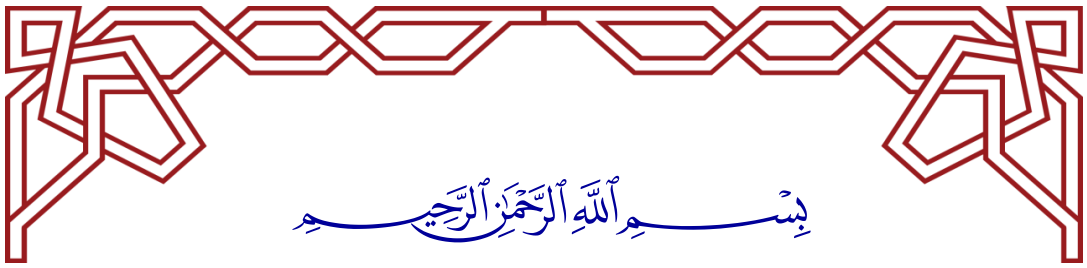

مُقدمة المشرفين على التفريغ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن من نعم الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن جعل فيها علماء ربانيين وأئمة في الدين، ورثوا من علم النبوة على قدر ما قسم الله لهم من ذلك الميراث العظيم الذي لا يعادله شيء من متاع الدنيا الفاني.

ومن رحمة الله بعباده: أنه كلما اشتدت حاجتهم إلى أمر من الأمور كلما يسر الله سبل تحصيله، ونوع لهم الطرائق الموصلة إلى نيله وبلوغه، ولما كان العلم أعظم ما يحتاجه العباد وليس لهم عنه غنى طرفة عين، ولا سيما علم العقيدة والتوحيد الذي هو أشرف العلوم وأزكاها، وأجلها قدرًا وأسناها،

والذي قد زادت الحاجة إليه في هذه الأزمنة المتأخرة، بسبب انتشار الأهواء والبدع، وكثرة المخالفين للتوحيد والمعتقد، والمجانبين للسنة والأثر.

يهيئ السبل للانتفاع به، وتداوله بيسر وسهولة من قبل الدارسين والمتعلمين، بل والأساتذة والمدرسين في أحيان كثيرة.

ومن هنا جاءت فكرة المساهمة في تفريغ دروس فضيلة الشيخ الدكتور محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني حفظه الله تعالى.

وقد يسر الله تعالى الخطوة الأولى لهذه المرحلة وهي إنشاء قناة للشيخ علي الشبكة، وكذا إنشاء حساب لدروسه في اليوتيوب، والتليجرام، كل ذلك حرصًا على الحفاظ على ما تيسر الحصول عليه من مجالس ودروس فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى، وكان الذي فات منها وضاع إن لم يفق الموجود كثرة فلا يقل عنه عددًا، وعزاؤنا فيه أن الله يعلمه، وأن الملائكة كتبته، ونسأل الله عز وجل أن يتقبل ذلك من الشيخ وأن يجعله في موازين حسناته، ومن تلك الكتب التي لم نقف على تسجيلاتها:

- خلق أفعال العباد للبخاري.
- الرد على الجهمية للدرامي.
- نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، للدرامي.
- القاعدة المراكشية.

وغيرها كثير[1].

وجاءت المرحلة الثانية هذه، وهي سلسلة التفريغات الصوتية للدروس العلمية للشيخ محمد محمدي النورستاني حفظه الله تعالى، وستكون شاملة لجميع دروسه المسجلة، وهي على الترتيب التالي:

---

(١) ونجد هذا الموضع فرصة لحث الإخوة من طلاب الشيخ ممن قد تبلغهم هذه التفريغات، ممن حضروا للشيخ مجالس في السابق وسجلوا شيئًا منها أن يتواصلوا معنا، فحفظهم لعلم الشيخ أقل ما يجب للشيخ علينا وعليهم، وهو من بر التلاميذ بمعلميهم والذي لا يقل أهمية عن بر الأبناء بآبائهم متى اقترن بالنية الصالحة.

١- الأصول الثلاثة (الشرح الأول ٨ مجالسًا).

٢- الأصول الثلاثة (الشرح الثاني ١١ مجلسًا).

٣- الأصول الثلاثة (الشرح الثالث ١٧ مجلسًا).

٤- القواعد الأربع (الشرح الأول مجلس واحدًا).

٥- القواعد الأربع (الشرح الثاني مجلسان).

٦- القواعد الأربع (الشرح الثالث مجلسان).

٧- نواقض الإسلام.

٨- كشف الشبهات.

٩- كتاب التوحيد (ولا زال مستمرًّا).

١٠- العقيدة الواسطية (الشرح الأول).

١١- العقيدة الواسطية (الشرح الثاني).

١٢- العقيدة الواسطية (الشرح الثالث).

١٣- لمعة الاعتقاد.

١٤- العقيدة الطحاوية (أربعون مجلسًا).

١٥- القصيدة الحائية لابن أبي داود (ثلاث مجالس).

١٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.

١٧- الفتوى الحموية (٢٣ مجلسًا).

١٨- الجواب على الاعتراضات المصرية.

١٩- العقيدة التدمرية (الشرح الأول).

٢٠- العقيدة التدمرية (الشرح الثاني، ولا زال مستمرًّا).

٢١- نقض المنطق "الانتصار لأهل الأثر"، لابن تيمية (٢٣ مجلسًا).

٢٢- الإبانة الصغرى "الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة" لابن بطة (٣٨ مجلسًا).

٢٣- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم. (ولا زال مستمرًّا).

٢٤ - شرح ابن أبي العز الحنفي على الطحاوية (ولا زال مستمرًّا).

٢٥ - شرح القصيدة النونية "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" لابن القيم الجوزية (ولا زال مستمرًّا).

٢٦ - شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية (لم يكتمل).

٢٧- رسالة القضاء والقدر لابن عثيمين (مجلسان).

٢٨- رسالة قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات، لابن تيمية.

٢٩- رسالة الأفعال الاختيارية من العباد لابن تيمية.

٣٠- فصل في الكلام على الاتحادية، لابن تيمية.

٣١- مسألة في حياة الخضر وادعاء لقائه، لابن تيمية.

٣٢- فصل في معنى الحي القيوم، لابن تيمية.

٣٣ - الإخنائية، لابن تيمية (ولا زال مستمرًّا).

٣٤- محاضرات في العقيدة والتوحيد.

٣٥- مجالس تفسير سورة العنكبوت.

٣٦- مجالس تفسير سورة الأحزاب.

٣٧- مجالس تفسير سورة الزمر.

٣٨- المنظومة البيقونية (٤ مجالس).

٣٩- نزهة النظر (الشرح الأول ١٦ مجلسًا).

٤٠- نزهة النظر (الشرح الثاني، لازال مستمرًا).

٤١- المداخل إلى كتب السنة.

٤٢- التعليق على كتاب المدخل إلى صحيح البخاري (٥ مجالس).

٤٣- عقيدة الرازيين.

٤٤- صريح السنة للطبري.

٤٥- السنة للمزني.

٤٦- الأصول الستة.

٤٧ - **سلسلة الحوار العلمي عن علم الكلام (لازال مستمرًا).**

٤٨ - **الصفات المعنوية.**

٤٩ - **قضية التفويض.**

وننبه هنا إلى أن هذه التفريغات معينة ومساعدة، إلا أنها لا تغني عن الدروس الصوتية والمرئية، ولا تكفي عن الاستماع إليها.

وما هذه التفريغات إلا جهد من بعض طلاب الشيخ حفظه الله تعالى، رغبوا في المشاركة في الخير، والمساهمة في خدمة العلم وأهله، فكتب الله أجورهم وشكر سعيهم، والشيخ حفظه الله تعالى لم يراجع هذه التفريغات.

وفي الختام: فإننا ندعو الله عز وجل أن يبارك للشيخ في علمه وعمله، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يبارك له في إتمام ما بقي، ونسأل الله له المزيد من فضله، وأن يمتعنا بعلمه، وأن يطيل عمره على طاعته، وأن يتقبل ذلك منه، وأن يكون ذخرًا له ورفعة وشرفًا يوم لقاء مولاه، ورؤيته سبحانه وحلول رضاه.

وشكر الله للإخوة القائمين على هذا المشروع وكتب أجرهم، وجعله من العلم الذي ينتفع به، وتجري لهم به الحسنات، وتضاعف بسببه الدرجات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

للتواصل وإرسال الملحوظات والتصويبات
t.Shoroh.dr.alnorstany@tmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

هذه سورة: سورة الأحزاب، سميت بهذا الاسم؛ لورود قصة غزوة الأحزاب فيها، غزوة الأحزاب أو غزوة الخندق، وردت إشارة إلى بعض ما جرى في غزوة الأحزاب، وحال المؤمنين، وحال المنافقين في تلك الغزوة، وسميت السورة بها.

وهي السورة الثالثة والثلاثون في ترتيب المصحف، والتسعون في ترتيب النزول؛ نزلت بعد سورة الأنفال، وقبل سورة المائدة؛ وهي ثلاثٌ وسبعون آيةً بالاتفاق، نُسخت منها بعض الآيات، وفي بعض الأقوال أنها كانت في مقدار سورة البقرة، ولكن الأمر في التحقق من ذلك يحتاج إلى تحقيق.

هذه السورة مدنيةٌ بالاتفاق، السور التي قبلها وبعدها في ترتيب المصحف كلها مكية، ونزلت في السنة الخامسة، وقيل: في السنة الرابعة التي كانت فيها غزوة الأحزاب.

وتقطيع السورة أو تقسيمها إلى مقاطع لا يخلو من شيء من التكلف، لأن الموضوعات فيها متداخلة وهي كثيرة؛ فإما أن تقسمها إلى مقاطع كثيرة، ولا تستفيد في ضبط مقاصد السورة إذا كانت المقاطع كثيرة أو تجتهد وتقسمها إلى مقاطع تجمع موضوعاتٍ مختلفة، وهذا الذي سأسلكه.

يمكن أن نقسمها إلى أربع مقاطع:

المقطع الأولى: يبدأ من الآية الأولى إلى نهاية الآية الثامنة.

يبدأ هذا المقطع بأمر النبي ﷺ، وبأمر الأمة في شخص النبي ﷺ بلزوم التقوى، ولزوم الوحي وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، ثم الإشارة إلى وجوب الإخلاص، والرد على المنافقين الذين لا يستقرون على شيء مع إبطال ما كان معروفًا عند التدني، وبعض الأحكام في الإرث.

وينتهي هذا المقطع بذكر أولي العزم من الرسل وهم خمسة، أولهم نبينا محمد ﷺ هذا مكانةً، أما زمنيًا فأولهم: نوح، وآخرهم محمد ﷺ.

المقطع الثاني: يبدأ من الآية التاسعة إلى الآية السابعة والعشرين، وهنا وصف غزوة الأحزاب، وحال المؤمنين وحال المنافقين، وأيضًا الإشارة إلى غزوة بني قريظة.

المقطع الثالث: يبدأ من ثمانية وعشرين إلى الآية الثانية والستين، وهذا أطول المقاطع؛ وفيه موضوعاتٌ كثيرةٌ منها: الحديث عن زوجات النبي ﷺ، وتخيير النبي ﷺ لهن بين الصبر على شغف العيش أو التسريح بإحسان،

والأمر لهن أيضًا بعدم الخروج من بيوتهن إلا لحاجةٍ مشروعة، وعدم اللين في مخاطبة الرجال، وعدم التبرج.

أيضًا فيه ذكر زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها لإبطال قاعدة التبني، وفيه أيضًا تشريع الحجاب، وبيان المحارم من النساء.

وفيه أيضًا بيان مكانة النبي ﷺ ببيان رسالته، ومحتوى رسالته والواجب تجاهها، كما أن فيه بعض الأحكام المتعلقة بالزواج، وخُتِم هذا المقطع بأمر النساء جميعًا بالتستر والاحتشام عن طريق الثياب الواسعة السميكة غير اللافتة للنظر.

المقطع الرابع والأخير: الحديث عن القيامة، وما يتعلق بها، وحمل الأمانة، ومن الذي هو أهلٌ لحمل الأمانة ومن ليس كذلك، وما الجزاء الذي ينتظر الفريقين من المنافقين والكفار كفريق، والمؤمنين كفريق؟

في هذه السورة من الأحكام: أحكام الظهار، الطلاق، التبني، قصر الإشارة على الأقارب، تعدد الزوجات، الحجاب الشرعي، أيضًا الصلاة على النبي ﷺ وإبرازها، وما يتعلق بشؤون الدعوة، أيضًا فيه حديثٌ كما قلت عن غزوتي الأحزاب وبنو قريظة، وفيه كشفٌ لخفايا أحوال المنافقين.

ونجد أن السنة تشير إلى هذا، وتبرز هذا الأمر عند المنافقين لما هم من الخطورة في المجتمع الاسلامي؛ لأنهم في ظاهرهم يدَّعون الإصلاح ومناصرة المسلمين، بل ويدَّعون أنهم هم المسلمون كما في بداية في سورة البقرة مع أنهم أخطر ما يمكن أن يواجهه المسلمون.

هذه السورة يمكن أن نسميها السورة التي فيها خصائص النبي ﷺ أو مكانة النبي ﷺ، هذه السورة تبرز هذا الموضوع من بداية السورة إلى نهاية السورة.

إذا أردت أن ترجع غالب موضوعات السورة إلى هذا الموضوع فلن يكون فيه تكلف.

ومثلًا: بدأت السورة بمخاطبة النبي ﷺ بوصفه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأحزاب:١]؛ وفيه من التقدير والاحترام والتعظيم ما يعرفه الجميع.

في هذه السورة بيَّن الله ﷻ قاعدةً عامة بها يزن المرء المسلم نفسه، ويزن إيمانه، ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب:٦]

بهذه الآية كل واحدٍ منا يزن نفسه أين هو من النبي ﷺ؟ أين هو من هديه؟ أين هو من طريقته، ومن سنته؟

وهذه قاعدة عامة: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، إذا كنت تدَّعي أنك مؤمن فانظر إلى تحقق هذا النص في نفسك، وفي هديك، وفي عقيدتك، وفي عملك، وفي سلوكك عامة.

الله ﷻ جعل أزواج النبي ﷺ أمهاتٍ للمؤمنين؛ لوجوب التعظيم والإجلال لا في المحرمية، وهذا أيضًا من تعظيم النبي ﷺ كما في قراءة أُبي يقول –وذكر هذا شيخ الإسلام ولم أرجع إلى كتب القراءات–: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ وهو أبٌ لهم هكذا.

من منكم متخصص في القراءات يستدرك، ويفيدنا؟ هل ذكره شيخ الإسلام في عددٍ من كتبه؟

فيه بيان مكانة النبي ﷺ، وأن أزواجه لها من المكانة ما يتناسب مع مكانة النبي ﷺ حيث صانت أمهات المؤمنين، والإشارة إلى تعظيم أمهات المؤمنين وردت في هذه السورة مرتين في بدايتها وفي وسطها.

الله ﷻ صان النبي ﷺ من كيد جموع القبائل الكافرة المتحزبة التي جاءت لتستأصل النبي ﷺ ومن معه في عقر دارهم، هذا كله ما يتعلق بغزوة الأحزاب، وما يلحقها من غزوة بني قريظة.

الله ﷻ صان أزواجه، وطهرن من الركون إلى الحياة الدنيا، وهذا واضح من تخيير النبي ﷺ لهن ثم اختارهن للبقاء معه على العيش الذي كن فيه من الفقر والمسكنة.

فيه أيضًا بيان أن النبي ﷺ لما تزوج من زوجة زيد أن هذا لا ينقص من قدره، لأنه كان متبنًا له ﷺ، ورد هذا لبيان أيضًا مكانة النبي ﷺ، وأن هذا لا ينقص من قدره شيئًا.

ورد في هذه السورة أيضًا بيان بعض الخصائص التي سنشير إليها؛ وهي تتعلق أيضًا بتخصيص النبي ﷺ بأحكامٍ لم تكن لأحدٍ من أمته، وفيها أيضًا بيان علو منزلته ومكانته وعظم جاهه عند الله ﷻ.

أيضًا من عظيم قدره عند الله ﷻ أن الله ﷻ تولى في هذه السورة تنظيم أمر زيارة الصحابة له، بيت النبوة كيف يتعامل معه؟

هذا البيت الذي فيه النبي ﷺ وأسرته هذا له خصوصية، وهذا البيت يُتعامل معه على أسسٍ معينة لا تتعدى هذا البيت ليس كبيت أحدٍ من المؤمنين والمسلمين، لا.

فنجد أن مساحة واسعة أخذت في هذه الجزيئة كيف يُتعامل مع هذا البيت؟

هذا من عظيم قدر النبي ﷺ وجاهه عند الله ﷻ.

في هذا السياق بيَّن الله ﷻ أن من آذاه وتقصَّده بالأذى؛ فهو معلونٌ في الدنيا والآخرة، ليس له أي حظٍّ في رحمة الله ﷻ لا في الدنيا ولا في الآخرة.

في هذه السورة أيضًا يبرز الله حق النبي ﷺ علينا ومكانته، وأنه يجب أن نصلي عليه، وكيف نصلي عليه؟ هذا أيضًا من بيان مكانة النبي ﷺ.

بيَّن الله ﷻ أيضًا في هذه السورة أن النبي ﷺ مما يدل على عظيم مكانته أنه أُرسل بأكمل هديٍّ، وأكمل رسالة ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ [الأحزاب].

ختمت السورة بتحريم إيذاء النبي ﷺ، وذكر الله ﷻ مثالًا مما حدث في الأمم السابقة إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام مع مكانته عند الله ﷻ.

الله ﷻ نهى المؤمنين أن يكونوا مثل أولئك في إيذاء النبي ﷺ.

كل هذه الأمور تدل على أن من أراد أن يتعلم خصائص النبي ﷺ، ومنزلته، وقدره عليه أن يرجع إلى هذه السورة، ويقرأها قراءةً متينةً، وأيضًا يستعين بالتفاصيل وأقوال العلماء في هذا الباب، ولكن القراءة أيضًا لابد منها، تقرأ قراءة التدبر حتى تستفيد هذه المعاني مع أن ما نذكره كله أو جُله من أقوال العلماء.

لأجل هذه الأمور ذكر شيخ الإسلام في حديثه عن هذه السورة قال:« **ذَكَرَ فِيهَا خَصَائِصَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحُقُوقَهُ، وَحُرْمَتَهُ، وَحُرْمَةَ أَهْلِ بَيْتِهِ**».

هكذا لخص مقاصد هذه السورة، هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

في هذه السورة خمس نداءاتٍ للنبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ وفي كل نداءٍ موضوعٌ خاص، وفيه أيضًا نداءاتٌ للمؤمنين، وسيأتي ذكر تلك النداءات، وما فيها من المعاني رهن التفصيل بإذن الله.

يقول الله ﷻ في بداية السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأحزاب:١]

فهنا مخاطبة النبي ﷺ بوصفه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ .

﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ هذه القراءة التي تفرد بها ..

من منكم من أصحاب القراءات؟ ولا أحد.

قراءة عاصم هي: (النبي)، وقراءة نافع: (النبيء) بالهمزة من النبوة والنبوءة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب:١].

الله ﷻ بخصوصه، وأمر الأمة أيضًا كما يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من باب التنبيه على الأدنى بذكر الأعلى أمرهم بالتقوى.

أمرهم بثلاثة أمور في هذه الآية:

أولًا: اتقوا الله ﷻ.

ثانيًا: عدم إطاعة الكافرين والمنافقين.

ثالثًا: في الآية التي بعدها اتباع الوحي فقط.

والآية التي بعدها فيها أمرٌ بالتوكل على الله ﷻ.

أولًا: الأمر بتقوى الله ﷻ

التقوى -كما تعرفون- تأتي بمعنى الإحسان، والإحسان أعلى مراتب الدين، فسَّره العلماء بتفسيراتٍ مختلفة مرجعها إلى هذا الذي يقول: دوام المراقبة، دوام استشعار عظمة الله ﷻ، هذه تقوى.

ومما يدل على أن التقوى بمعنى الإحسان: ما ذكره الله ﷻ في بداية سورة البقرة ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة].

ويقول الله في بداية سورة لقمان: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [لقمان].

هناك ذكره الإحسان، وهنا في بداية سورة البقرة ذكر التقوى؛ مما يدل على أن التقوى بمعنى الإحسان.

والإحسان عرَّفه النبي ﷺ بقوله: «**أن تعبد الله أنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

وهذا الذي ذكره النبي ﷺ هو نهاية المراقبة أن تستشعر عظمة الله ﷻ ومراقبته لك في كل حركاتك وسكناتك، هذه هي التقوى، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

والتقوى لا يمكن أن تحصل إلا بامتثال الأوامر، والانتهاء عن المنهيات كما عرفها بذلك طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب:١]

من الذي يمكن أن يزحزحك عن التقوى؟ من الذي يمكن أن يكون عائقًا أمام التقوى؟ الكفار والمنافقون.

الكافر يكون صريحًا في ذلك، والمنافق يكون مراوغًا في ذلك، وقصد الاثنين إزاحتك، وإزالتك، وإبعادك عن التقوى، لذلك ورد النهي عن طاعتهم بعد الأمر بالتقوى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [الأحزاب:١].

فيه بيان أن هذا الأمر من الله ﷻ الذي يتصف بالعلم الشامل المحيط، والذي يتصف بالحكمة في أفعاله، وأيضًا بالإحكام في أمره ونهيه وشرعه، لأن كثيرًا من الناس لما يرى بعض الموازين تختلف يتزعزع إيمانه يظن أن الكافر أفضل منه كما نرى هذا جليًا في عصرنا هذا.

بعض الناس يقولون: ما لم نقلد الغرب حتى في كيت وكيت لن نتقدم، هذا يخبر عما في نفسه من الفسق والفجور والنفاق.

الله ﷻ الذي هو علمه شامل ومحيط وهو الذي يخبرنا بهذا الخبر.

فلن يكون الكافر أفضل من المسلم في أي حالٍ من الأحوال حتى ولو وصل إلى ما وصل، فهو نجسٌ معنويٌ حتى وصل إلى ما وصل، ولا يمكن أن تغتر به، لا يجوز أن تغتر به، لا يجوز أن تنهزم نفسيًا وتقول: أن هذا التفاوت بيني وبينه لأنه هو الأمثل، لا.

﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ ﴾ [الأحزاب:٢].

هذا فيه الأمر بالتقيد بالمصدر.

يوحى إلى من؟ إلى النبي ﷺ.

هذا الذي تتقيد به، من الذي يوحي إليك؟ ﴿مِن رَّبِّكَ﴾، وهذا فيه تقديرٌ لما يوحى إليك، وهذا الذي يكفل السعادة في الدنيا والآخرة.

﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٢].

الله ﷻ هو الأعلم بما تعملون، وبما يصلح لكم وهو خبيرٌ بذلك.

﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ [الأحزاب:٣].

ذكر شيخ الإسلام أيضًا في تعليقه على بداية هذه السورة: أن الله ﷻ ذكر هنا التقوى، والتقوى لا تكون إلا بالعبادة، ثم أردفه بذكر التوكل، وذكر أن هذا كثيرٌ في القرآن، وأن هذا من تحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥] فيه:

العبادة في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، ولذلك نستعين بك، وذكر لهذا نظائر في القرآن الكريم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾.

الله ﷻ هو الوكيل، وهو كافي من توكل عليه.

بعد هذا يمهد الله ﷻ هنا لما سيذكره من حكم الظهار والتبني وأيضًا ما سيأتي من حال المنافقين، يمهد له بقوله: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ ﴾ [الأحزاب:٤].

كل رجل له قلب واحد، وهذا القلب إما أن يكون مؤمنًا، وإما أن يكون منافقًا.

إما أن يكون مؤمنًا، وإما أن يكون كافرًا.

لا يمكن أن يكون متوائمًا منسجمًا مع الكفار ومع المؤمنين، هذا فيه تعريضٌ بالمنافقين الذين يرضون هؤلاء، ويرضون هؤلاء.

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾، القلب واحد لابد أن يكون مخلصًا لله ﷻ حتى يستقيم على الدين.

ثم الأحكام التي ذكرت هنا: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ [الأحزاب:٤].

الظهار كان نوعًا من أنواع القسوة على النساء في الجاهلية، يقول أحدهم: أنت عليّ كظهر أمي؛ بهذه المقولة تكون هذه المرأة معلقة لا هي مطلقة، ولا هي ذات زوج وتبقى هكذا، لماذا؟

لأن فلانًا ظاهر: أنت علي كظهر أمي، الله ﷻ يرد على هذا ويقول: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾.

كم من الفرق بين أمهاتكم، وبين زوجاتكم؟

أمهاتكم اللاتي لهن عليكم من التقدير والاحترام ما ليس لغيرهن، وزوجاتكم التي هي حلالٌ لكم، كم تلتبس هذا بهذا؟

لمقولةٍ واحدة تعلق هذه المرأة وينغص عيشها، وتقول: أنت علي كظهر أمي، لا يمكن هذا.

﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾، هذه غير وهذه غير.

وكذلك: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ [الأحزاب:٤].

الأول: كان من فعل من الجاهلية، وهذا –كما قلت–: كان مظهرًا من مظاهر القسوة على..، وحرمان النساء من حقوقهن.

أما الثاني: كان أيضًا في بداية الإسلام، وعطَّله الله ﷻ.

﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾، الذين تتبنونهم هم ليسوا أبنائكم، حتى ولو قلتم: أنهم أبنائنا.

﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ﴾ [الأحزاب:٤].

قولكم بأزواجكم: أنت علي كظهر أمي، وقولكم لفلان: أنت ابني أو بمنزلة ابني، هذا ليس من الحقيقة.

ذلك قولكم بأفواهكم، وليس له رصيدٌ من الحقيقة.

﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب:٤].

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٥]. أي: انسبوهم لآبائهم فلان بن فلان

﴿ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب:٥]. أقسط؛ أي: عدل.

﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ ﴾ [الأحزاب:٥]

هذا فيه إشارة إلى ما كان في ذلك العصر من التخلخل في النسب.

هناك ما لا يُعرف أبوه، لماذا؟

مع أن ما كان في العربي من الاعتزاز بالعفاف والعفة، إلا أنهم مع ذلك كانت هناك مظاهر أنتجت هذا الأمر، فلان لا يُعرف أبوه، لماذا لا يُعرف أبوه؟ لأنه هناك خللًا في تركيبة الأسرة لوجود الزنى.

﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [الأحزاب:٥].

هذا يدعون برابطة الأخوة الدينية فهم إخوانكم في الدين.

﴿ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [الأحزاب:٥].

إذا تحرَّيتم الصواب وبحثتم، بعد ذلك أخطأتم ليس عليكم حرج في ذلك، المهم لا تقصدونه، ولا تتقصدونه.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥]

بعد هذا يقول الله ﷻ: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٦]، أولى بهم من أنفسهم، ليس لهم حكمٌ على أنفسهم بشيء، هو الذي يحكم، ولا ينبغي أن يقدموا أنفسهم، ويقدموا مَحَابَّهم وما يحبونه على ما يحبه النبي ﷺ.

«**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله، وولده، ووالده، والناس أجمعين**» الحديث في صحيح البخاري.

من الذي رواه؟

الطالب: أنس.

الشيخ: في ذكر الأحاديث لابد أن تذكر من رواه، ومن أخرجه، وإذا ما كنت تحفظ ستجد من يحفظ مثل ما وجدنا.

طبعًا هذا يرجع إلى المسألة الولاء والبراء، ومسألة الولاء والبراء ترجع إلى تحقيق معنى لا إله إلا الله، فإذا كنت محققًا لـ (لا إله إلا الله) فلابد أن يكون النبي ﷺ أحب إليك كما ورد في هذا الحديث، لا تقدم أحدًا عليه.

وأيضًا كما ذكرت في بداية الدرس هذا هو الميزان، لأنه يقول: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ إذا كنت تأمل أن تكون من المؤمنين، وهذا الذي نأمله، وهذا الذي نريده جميعًا، ونسأل الله أن نكون ممن حقق الإيمان، إذا كنت من هذا القبيل فلابد أن تزن نفسك بموافقتك للنبي ﷺ.

أين أنت من سنته؟ أين أنت من أقواله؟ أين أنت من أفعاله؟

بعض الناس سبحان الله ولو عظَّموا بعض سننه إلا أن عندهم تهوينٌ لبعض سننه، عندهم قشور، وعندهم كذا، وعندهم تقسيمات ما شاء الله بهذه التقسيمات يلغون جانبًا مهمًا من جوانب السنن.

حتى ولو كان عندنا تقصير ينبغي أن يكون عندنا همٌّ وقصدٌ ونيةٌ صادقة في العمل بسنة النبي ﷺ.

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [الأحزاب:٦]، وكما قلت في رواية في قراءة أُبي كما ذكره شيخ الإسلام، وأقول هذا لأني ما رجعت لكتب القراءات: وهو أبٌ لهم.

إذن النبي ﷺ هو الأب الروحي لهذه الأمة.

﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ [الأحزاب:٦] هم أمهات المؤمنين ليس في المحرمية، وإنما في الاحترام والتعظيم والمكانة.

﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾، سبحان الله أزواج النبي ﷺ هم أمهات المؤمنين.

ذكر أحد الكتاب عن بعض المنحرفين عن الصحابة أنه كان قرأ هذه الآية، وفكر فيها، وقال: كيف أزواجه أمهاتهم ونحن نلعن تلك الأزواج؟

والله ﷻ ينوه بأزواجه هنا، ونحن نلعن دائمًا تلك، كيف؟!

فذكر أنه اهتدى بالتدبر في هذه الآية فقط، سبحان الله، أزواجه.

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «جلاء الأفهام» فوائد تحت هذه اللفظة، وأزواجه، لماذا ذكر الله ﷻ أنها أزواجه؟

لأن هناك مناسبة بينه وبينهن حتى في السلوك، وفي الإيمان، فهن أزواجه، وهن له، الله ﷻ اختارهن له، وهذا شرف عظيم، لم ينل هذا الشرف من بنات آدم إلا زوجاته رضي الله عنهن وأرضاهن.

ثم ذكر الله ﷻ حكمًا وهو قصر الميراث على الأقارب، وكان النبي قد والى بين المهاجرين والأنصار في بداية الهجرة، وكان قد بدأ بينهم حتى التوارث، فالله ﷻ أبطله، وقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٦].

لا يمكن أن تقول: فلان جعلته وليًا لي وهو أحق بمالي، لا، مالك لا يحكم فيها إلا الله ﷻ، ومن الذي يستحقها في الميراث؟

الله ﷻ هو الذي يحدد حتى لا تكون هناك فوضى.

يقول: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٦]، بعد أن أبطل التوارث أبقى النصرة وأيضًا الإعانة، وأيضًا التواصي أبقى هذا بينهم.

يقول: ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب:٦].

ثم ذكر الله ﷻ أنه أخذ المواثيق من النبيين كلهم، وذكر منهم خمسة، وذكر النبي ﷺ من هؤلاء الخمسة بل بدأ به؛ وهذا يدل على كونه أفضل هؤلاء الخمسة.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ﴾ بدأ به، ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب:٧].

الذين ذكرهم بعده الترتيب هنا الزمني، أما ذكره هو فقد قدَّمه مع أنه آخرهم، لأنه أفضلهم.

أفضل الأنبياء والرسل هم هؤلاء الخمسة، وأفضلهم الخليلان، وأفضلهما نبينا محمد ﷺ.

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ [الأحزاب].

يقول العلماء: إذا كان الصادقون يسألون عن صدقهم فكيف بغيرهم؟

﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على سيد الأنبياء، والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لازلنا مع سورة الأحزاب، ونبدأ اليوم في المقطع الثاني، وهو المقطع الذي يذكر قصة غزوة الأحزاب، وغزوة الخندق، ويختم بذكر غزوة بني قريظة.

في هذا المثال، أو في ذكر هذه الغزوة، وكذلك غزوة بني قريظة، فيه مثالٌ لما ذكره الله ﷻ في بداية السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:١]، ثم: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب:٣].

أمر الله ﷻ في بداية السورة، أمر نبيه أن يتقي، وأن لا يطيع الكافرين، ولا المنافقين، وأن لا يوالي بهم، وأن لا يحفل بهم، وأن مخالفتهم لن يضره ما دام أنه متوكلٌ على الله ﷻ.

في ذكر هذه القصة، وفي حفظ الله ﷻ لنبيه، وللمؤمنين مع هذا التحزب الهائل، ومه هذا الذي حصل الله ﷻ يحفظ نبيه، ويحفظ المؤمنين، ويبرز هنا موقف المؤمنين المتوكلين، وموقف المنافقين الخائنين الخاسرين الذي يكثر كلامهم في حال الأمن، ويدخلون حجورهم في حال الخوف، هذا كله مثال للتطبيق، وأن النبي ﷻ قد توكل على الله ﷻ، وهكذا كان حفظ الله ﷻ له، صرف تلك الجموع المتكاثرة، صرفهم حتى بدون حربٍ يذكر، بلا أن ينالوا من المؤمنين، بلا أن يقتربوا منهم، بلا أن ينكلوا فيهم، أو أن يستأصلوا شأفتهم كما كان، وهذا هدفهم.

يقول الله ﷻ في بداية ذكره لهذه القصة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٩]، هذه النعمة هي خاص بالمؤمنين، فلذلك خاطبهم.

وهناك نعم هي للمؤمنين، ولغير المؤمنين، وهناك الخطاب هناك عامٌ كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٣]، هذه النعمة عامة.

هذه النعمة خاصة بالمؤمنين، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب:٩]، في هذه الآية ذكر الله ﷻخطورة الموفق، وبداية القصة، ونهاية القصة، كل هذه الأمور ذكرت في هذه الآية.

خطورة الموقف: ﴿إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ [الأحزاب:٩]، لم يكن لكم، ولم يكن فيكم، ولم يكن في مكنتكم أن تواجهوهم بالوسائل العادية، الله ﷻ تفضل عليكم أن أرسل عليهم ريحًا، وجنودًا لم تروها، وهكذا انتهت القصة، ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ [الأحزاب:٩]، وفعلاً الذي حصل يحتاج إلى شكر الله ﷻ، ويحتاج إلى تذكر هذه النعمة، وشكره عليها، ولذلك يقول: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الأحزاب:٩].

قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب:٩]، كل ما حصل في علم الله ﷻ، الله ﷻ يرى، ويسمع، ويعلم ما في قلوبكم، ويعلم ما يختلف في قلوبكم، ويعلم ما يحصل لا يخفى عليه شيء.

قال تعالى: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ [الأحزاب:١٠]، قيل: أن الذين من فوقكم هم الذين جاءوا من قبل نجد، ومن أسفل منكم: الذين جاءوا من قبل مكة.

وقيل: أنه العالية، والسافلة في المدينة.

المهم هنا أن المدينة قد أحيطت من جوانبها.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأحزاب:١٠]، أي مالت الأبصار، وشخصت من شدة الفزع، والهول، كادت أن تخرج عن موضعها، زاغت الأبصار، ما صارت تركز؛ أبصارها زاغت، هذا كله تصوير لهول الموقف.

قال تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب:١٠]، أي ارتفعت عن مكانها من الفزع، والخوف وصلت إلى الحناجر.

الحناجر: مفردها حنجرة، وهي جوف الحلقوم.

هذا أيضًا تصويرٌ لشدة الاضطراب، الذي كان قد أصابهم، ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾ [الأحزاب:١٠]، الخطاب هنا للجميع، كل من يدعي الإيمان، والإسلام.

أما ظن المنافقين، وهم الذين يدعون أنهم مخاطبون أيضًا بهذه الآيات ظنهم سينكشف بعد قليل، ذلك الغطاء الذي كان للتجمل سينكشف بعد شيءٍ من المصاعب، وسيوضحون، وسيظهرون بما أنفسهم، وهذه فرصة لهم، مثل هذه المواقف التي يرى أن الكفة لغير المسلمين، هذه فرص للمنافقين لإظهار ما في قلوبهم، لأن الوضع يأملهم، ليس هناك من يردعهم، ليس هناك من يوبخهم؛ لأن ظاهر سير ومجرى الأمور في صالحهم.

أما ظنون المؤمنين ماذا عسى أن يكون ظن المؤمن الذي سيمدحه الله ﷻ في الآيات اللاحقة: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٢].

ظنونهم هي مما تكون، مما تختلج الخواطر، والهواجس التي لا يخلوا منها بشر، فليس المؤمنون مطالبًا أن يتعدى طوره البشري.

فقد تكون هناك من الهواجس، والخواطر ما غلبتهم، ثم يلجئون إلى الأساس الذي ذكره الله ﷻ هنا.

الظنون هذه هنا نُكرت، وهذا الذي ذكرته هذا بالنظر إلى فئات هذا الموقف، منهم المنافقون، ومنهم المؤمنون، ومقام المؤمنين قد أبرزه الله ﷻ هنا.

الله ﷻ هنا يقابل بين مواقف الفرق، خاصةً بين مواقف المنافقين، ومواقف المؤمنين.

مواقف المؤمنين ستبدأن من قوله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١]، أما مواقف المنافقين فقد قدمها الله ﷻ، وذكرها قبل مواقف المؤمنين لخطورتها، وليكون المؤمنون على حذرٍ منهم دائمًا؛ لأن ما ذُكر هنا للمنافقين هذا دأبهم دائمًا نسخة تتكر حسب المشاهد، والمواقف، نسخة تتكرر، وتكاد جملها، وحروفها واحدة سبحان الله.

قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب:١١]، ابتلي: أي اختبر، وزلزلوا: أي اضطربوا، الزلزال: هو التحريك الحسي، والمراد هنا: الاضطراب الذي أصابهم من هول الموقف.

بالنسبة للقصة: غزوة الأحزاب وقعت في السنة الرابعة من الهجرة، وقد سبق هذه الغزوة إجلاء بنوا النضير في هذه السنة، إجلائهم عن المدينة، وبعد غزوة بدر كان للمشركين، أرادوا أن ينتقموا من المسلمين، ويبِدُوهم عن بكرة أبيهم، وجاءوا وكانت غزوة أحد.

غزوة أحد كانوا يريدون أن ينتهوا من هذا الذي يشكل عليهم، ينتهوا من شخص اسمه محمد، وآثار محمد لابد أن تمحى من الوجود، هذا كان قصدهم، جاءوا وحصل ما حصل.

إذًا: رجعوا، واستسلموا للواقع، وأن هناك كيانٌ جديد لابد أن يتعاملوا معه حسب ما تمليه الظروف كما يقولون، أن يفكروا أن يرجعوا إلى المدينة مرة أخرى، هذا بعيد جدًا بالنسبة للمشركين.

فما الذي جعلهم يتحزبون مرة أخرى؟

هذا كيد اليهود، مكائد اليهود، دسائس اليهود، وهذا فنهم الذي يتقنونه اتقانًا، وهم قد ورثوه أبًا عن جد، وهذا فنهم.

ذهب حوالي عشرون شخص من بني النضير، ذهبوا إلى أهل مكة، وقالوا: نحن معكم، وطمعوهم أيضًا في بني قريظة الذي كانوا لا زلوا على عهدٍ مع النبي ﷺ، وأقنعوهم أن يرجعوا إلى المدينة، وتكون هناك حرب إبادة، وأنهم هم معهم، واجتمع من قريش وحلفائهم ما يقارب ستة آلاف، وذهبوا إلى القبائل الأخرى أيضًا: غطفان، وأسد، ومن معهم.

فاجتمع الجيش، وكان قريبًا من عشرة آلاف وجاءوا، هكذا جاءوا، وإلا أهل مكة قد عرفوا، يعني في غزوة أحد يأسوا من هذا الذي طمعوا فيه.

علم النبي ﷺ بإرادتهم، واستشار الصحابة، وكان ممن استشارهم سلمان الفارس رضي الله عنه وأرضاه، وقال له: أننا نحن، الفرس، نحن إذا كانت الظروف بهذا الذي تذكرون لنا طريقة، وهي أن نخندق حول الموقع، لا نخرج عن الموقع، نتحصن داخل الموقع، ونخندق حوله.

والمدينة كما تعرفون هي بين حرتين:

١) الحرة الشرقية .٢) الحرة الغربية.

بالنسبة للحرة، طبعًا الآن لا يظهر، فيها هذه الحجارة التي هي من حجارة البراكين، بحيث لا يمكن أن تمشي فيها، أو تمشي فيها الخيول، لا يمكن، بالنسبة للحرة كأنها حصن.

فالموضع الذي يمكن أن يقتحم العدو منه بين الحرتين، وهو يزيد على عشرة كيلوا تقريبًا، حتى تعرفوا ضخامة الموقف، يزيد على عشرة كيلوا.

وقبل النبي ﷺ مشورته، بدأوا العمل في الخندق، وإذا كنتم قد ذهبتم إلى المدينة، موقع غزوة الأحزاب الأن من هنا يبدأ الخندق هكذا مقوسًا إلى قريب من جبل أحد، وأنا نسيت بالدقة كم هو، على كل حال هو بالكلوات.

المهم هو طوله تقريبًا أربعة أمتار، أو أكثر بحيث لا يمكن للحصار أن يتجاوزه، وعمقه أيضًا سبحان الله يشيب، كأنه ما يسميه الأن الناس النفق، عملوا فيه شهرًا كاملاً.

ولما جاء المشركون تفاجئوا بالخندق، ويبحثون عن مكانٍ ليدخلوا هذا الخندق، من هنا إلى هنا، فمكثوا شهرًا كاملاً يحيطون بالمدينة، في هذه الأثناء ذهب كبير بنو النضير إلى كبير بني قريظة، وأقنعه أيضًا على نكث العهد، وأقنعه أيضًا أن ينضم إليهم، ويكون حربًا على رسول الله ﷺ.

وكان النبي ﷺ قد جمع النساء، والصبيان، والولدان، والذراري جمعهم في آطام المدينة، الآطام التي هي الحصون.

وهكذا لما وصل الخبر إلى النبي ﷺ كان بين نارين، هذا كان أشد عليه، خبر اليهود؛ لأنه من الداخل.

الله ﷻ لما يقول هنا: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب:١١]، هكذا كان الوضع.

طبعًا هذا الزلزال لماذا كان؟

الله ﷻ يختبر المؤمنين، وغير المؤمنين، والمواقف الأن يذكرها الله ﷻ، ويجليها لنا، كيف كانت مواقف المؤمنين، وكيف كانت مواقف المخذلين، والمنافقين.

في أثناء الغزوة جاء أحد الكفار، نُعيم بن مسعود أظن، جاء إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول أنا أسلمت، وقومي لا يعلمون بإسلامي فمرني بما شئت، قال: «**الحرب خدعة**»، فأمره أن يبث الفرقة بين قريش، وبين بني قريظة، هكذا حصل.

ذهب إلى قريش، وقال لهم قولاً، وذهب إلى بني قريظة، وقال له قولاً، وبث الفرقة بينهم، وكانت هذه بداية التفكير في الرجوع.

ثم أرسل الله ﷻ كما ذكر هنا ريحًا شديدة، كانت تقتلع الخيام، وهذه كانت نهاية القصة، هكذا رجعوا.

ما الذي حصل؟

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب:١٢]، طبعًا هنا هذه مواقف، وهذه المواقف هي تبرز رجولة الرجال.

هذا الموقف الشديد، هذا يكشف لنا خبيئة نفوس المنافقين، لو كان أقل من هذا كان يظهرون ما في نفوسهم، فكيف بهذا نسمعه، وهذا كان فرصةً لهم لأمرين:

١ـ للتوهين، والتخذيل، وبث الشك، والريب في نفوس المؤمنين، وأن تلك الدعاوى التي نسمعها من النبي ﷺ هذه دعاوى، كما قال أحدهم: يتحدث عن كنوز كسرى وكيسر، وأحدنا لا يستطيع أن يبرز إلى، هذه فرصته المنافق.

ثانيًا: هي فرصة أيضًا لأن يظهر كل ما كان في نفسه من الكيد للمؤمنين.

المنافق هنا منسجم مع نفسه؛ لأنه كان يتجمل بالأخلاق، والمبادئ، وكان يظهر الإيمان، فلما جاءت هذه القصة أظهرت ما فيه، وذهب التجمل، فهو منسجم مع نفسه.

وكما قلت: هذه فرصته، وهكذا المنافقون دائمًا، بل ما ذكر في هذه السورة، وما ذكر في بداية سورة البقرة سبحان الله، لما تقرؤون لبعض الكتاب، وبعض الصحفيين، والإعلاميين، كان الله ﷻ يتحدث عن بعضهم باسمهم.

طبعًا هذه الآيات ليس كما يقولون: موروث تاريخي محترم، لا حتى نستفيد منها، هكذا مواقف المنافقين دائمًا.

وكما قلت: الهول أزاح عنهم ذلك الستار الرقيق من التجمل، كما أن حصل لهم من الترويع، لا يثبت لهم إيمانهم الضعيف أصلاً المهلل، فأظهروا ما أظهروه، والله ﷻ يذكره؛ لنستفيد منه الدروس.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب:١٢]، أين تلك الغرور؟

الغرور: هو الباطل.

ترى تلك الوعود هي التي نراها، هكذا يقولون.

طبعًا في هذه الظروف من الذي سيؤدبهم في هذه الظروف، والنبي ﷺ، والمؤمنون مشغلون، عندهم ما يكفيهم؟

لا أحد سيؤدبهم هنا، وبعدين المصير ما نعرفه، بالنسبة لهم ظنونهم تقريبًا تسعة وتسعين في المئة عندهم، حسب ظنونهم أن الكفة للكفار، وهكذا يظهرون.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ ﴾ [الأحزاب:١٣]، طبعًا بعد مقدم النبي ﷺ هي المدينة، هذا اسمها، حتى الكفار يسمونها المدينة تيمنًا بورود النبي ﷺ إليها، وأنها مدينة النبي ﷺ، المنافقون يريدون أن يرجعوا هنا إلى وروثهم التاريخ، ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ [الأحزاب:١٣]، لا يريدون شيئًا يذكرهم بالإخوة الإسلامية.

ما الذي تقولون؟

﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ [الأحزاب:١٣]، في قراءة عاصم: لا مُقام لكم، في قراءة الباقين: لا مَقام لكم.

المُقام: بالضم اسم موضع الذي قامه، وبالفتح اسم موضع من القيام: أي لا قيام لكم في موضع القتال.

قال تعالى: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ [الأحزاب:١٣]، ذكر شيخ الإسلام هنا ثلاثة أقوال، يقول: قيل ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ [الأحزاب:١٣]، لكثرة العدد.

ارجعوا إلى المدينة، كم تمثلون؟ كم نسبتكم، ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب:١٣]، أي لكثرة عدوكم فارجعوا إلى المدينة.

وقيل: لا مقام لكم على دين محمد، ذهبت تلك الفرص التي كنتم تتحدثون عنها، وأهل الغلبة، لا يمكنكم أن تقيموا على دينكم فارجعوا إلى الشرك.

وقيل: لا مقام لكم على القتال؛ للتفاوت الكبير بينكم، وبين أعدائكم عددًا وعدةً، لا مقارنة فارجعوا.

طبعًا هذا تخذيل، أيضًا يذكر الله ﷻ نوعًا آخر من أنواع مراوغتهم، وتخذليهم: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب:١٣]، أي مكشوفةٌ للعدو، غير حصينة، يخشى عليها من الأعداء، كما يقولون: يضربون على الوتر الذي يكون حساس جدًا، نخشى أن يأتي، ويداهم العدو زوجاتنا.

الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب:١٣]، هذا الذي يردونه، يريدون أن يفروا.

ثم يكشف الله ﷻ أيضًا شيئًا مما في قلوبهم، ومما في حقيقتهم: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ [الأحزاب:١٤]، الضمير يرجع إلى المدينة، ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ [الأحزاب:١٤]، لو يحاط بهم، ويدخل العدو المدينة من أقطارها، ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [الأحزاب:١٤]، والفتنة هي الرجوع إلى الكفر والردة، ﴿لَـَٔاتَوْهَا﴾ [الأحزاب:١٤]، وفي قراءة: لآتوها بالمد، لأتوها: أي لذهبوا إليها، لاختاروها، ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الأحزاب:١٤]، هذا التلبث كما يقولون: هو للتكتيك، كيف نرجع، وإلا سيرجعون، قطعًا سيرجعون إلى الردة، لن يترددوا في الخروج من ربقة الإسلام، هكذا المنافقون.

طيب الواقع؟

الواقع هكذا، وبالتالي هم مستعدون للردة، فكيف بالاستئذان، مستعدون.

آخر ما يمكن ليخرجوا عن الدين، هم مستعدون لهذا، طبعًا الخوف، هناك خوف متوقع، وهناك خوف واقع.

الخوف المتوقع هنا تختلف مواقف المنافقين حسب ما يرونها من المصالح، أما الخوف الواقع فيزيل كل ما في نفوسهم من التجمل، يظهرون على حقيقتهم، وهذا هو الحاصل الآن.

الله ﷻ يقول: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ﴾ [الأحزاب:١٥]، هكذا كان عهد المنافق، ﴿ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾ [الأحزاب:١٥]، الله ﷻ يهدهم، ذلك الذي كان منكم، ويتم نكثه الآن، هذا ستحاسبون عليه، ﴿ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾ [الأحزاب:١٥]، أي يسألوا عنه، ويحاسبوا عليه.

يقول الله ﷻ: ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب:١٦]، هنا يذكرهم الله ﷻ بالأصل، وهو أن المقادير بيد الله ﷻ، أنتم تفرون ممن؟ وتفرون إلى من؟ من الذي تفرون منه، ومنه الذي تلذون به حتى يحصنكم؟

﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب:١٦]، أي في الوقت الذي بقي لكم، وأنتم تظنون أنكم تستمتعون بهذا الوقت، نعم سترجعون إلى الله ﷻ.

ذكر شيخ الإسلام في رسالة ألفها في مناسبة حربهم مع المغول، وذكر فيها هذه الصورة، وأنه هناك مشابهة ما حصل مع المغول، وبين ما حصل مع الأحزاب هنا، عقد مقارنة.

ومن الأمور التي ذكرها: أن هؤلاء الذين كانوا يخذلون، وكانوا يظنون بأنهم بتخذيليهم، وبمناوئتهم للمسلمين، ومناصرتهم للكفار أنهم سينجحون، وأنهم سيكون مصريهم شر مصير، ذكر كيف أن بعضهم قتل هنا، وبعضهم هكذا، ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب:١:١٧]، من الذي أمركم بالجهاد هنا؟ الله ﷻ، وأنتم تريدون أن تفرون منه، فمن الذي سيعصمكم منه؟ من؟

﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ [الأحزاب:١٧]، يجلب لهم الخير، ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب:١٧]، يدفع عنكم الشر، لن يجدون وليٌ يتولاهم فيجلب لهم المصالح والخير، نصيرٌ ينصرهم فيدفع عنهم الشر.

ثم قال الله ﷻ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ [الأحزاب:١٨]، كلمة قد لما تدخل على الفعل المضارع تكون لمعانٍ كثيرة منها:

١ـ التقليل.

٢ـ التهديد.

وهنا بمعنى التهديد.

أنت تقول لشخص يظن أنه بسلوكه مسلكًا معينًا تكون في غفلة عنه، أو يكون هذا الذي ذاك يفر منه في غفلة عنه، تقول له: قد ينكشف حالك لفلان.

هنا: هذه للتهديد، وليس للتقليل؛ لأن علم الله ﷻ شاملٌ ومحيط، وهذا كما قلت: هذا للتهديد.

ترى هذا الذي تخططوه، تذكروا أنه سيظهر، ولا يخفى على الله ﷻ، ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ [الأحزاب:١٨]، من أولئك الذين يعوقون؟

سواءً منكم من يخذل، وسواءً منكم من يبث الريب، وسواءً منكم من يتخلف بنفسه، وسواءٌ منكم من يدعوا غيره للتخلف هؤلاء كلهم معوقون.

كل من يكون موقفه سلبي يبقى معوق، في مثل هذه المواقف لابد أن يكون موقفك إيجابيًا بالكلمة، بالفعل، بالمواقف.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ [الأحزاب:١٨]، هذه هي الصورة مما ذكرها الله ﷻ، ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب:١٨]، هلم إلينا: أي إلى الظلال الوافرة، وإقامة في المدينة، أين تذهب لتورط نفسك؟

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب:١٨]، يقول الله ﷻ أن هذا ليس دأبهم، وليس شأنهم، ليسوا رجال الميادين أبدًا، ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب:١٨]، هذا البأس القليل أيضًا إذا لزمهم الأمر، إذا لم يجدوا منه مخرجا.

لا زال الله ﷻ يظهر لنا طبائعهم، وما يكون منهم، ويكونون أشحة عليكم، لا تتوقعوا منهم أي خير.

الشح: هو البخل.

أشحة عليكم بماذا؟

بالمال، بالقول، حتى بالكلمة الطيبة، بكل ما يمكن أن يطمئنك، أبدًا لا يشارك.

قال تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ ﴾ [الأحزاب:١٩]، فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك نظر الشفقة، ذلك النظر الذي يستدر الرحمة، والعطف، والشفقة، ﴿ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾، من النظر تعرف أن هذا يلوذ بك، ونسي الله ﷻ، لائذًا بك، لا يرى في الدنيا إلا شخصك الكريم، لا يتوكل على الله ﷻ، هذا ماذا؟

ينظر إليك نظر اللائذ بك، المتعوذ بك، هذا إذا كان الخوف، طيب إذا ذهب الخوف؟

خرج من جهده، وأظهر أنه من أبطال الموقف، وبدأ يهدد، تذكرون الكلمة التي قلتها في، كنت أقصد كذا، وكذا، وكنت، وكنت، في الجرائد، وفي كذا تجده، سبحان الله.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم ﴾ [الأحزاب:١٩]، سلقوكم: معناه أذوكم، ورموكم، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية السابقة.

قال تعالى: ﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً ﴾ [الأحزاب:١٩]، وصف هذه الألسنة بالحدة؛ لأنهم لا يرحمون.

وكما قال بعضهم: المنافق يكون شجاعًا، فصيحًا، بارزًا، متألقًا حينما يكون هناك أمنٌ، ورخاء، ويكون جبانًا، صامتًا، منزويًا حيث يكون الشدة، والخوف، دائمًا يكون شحيحًا بخيلاً على الخير، وأهل الخير لا ينالهم منه، إلا سلاطة اللسان، هكذا يكون المنافق، لا تتوقع منه.

بعض الناس يتوقع منه الخير، ويظن أنه لو كان كذا لنفعنا في كذا، لا هذا دأبه، هذه نفسيته.

وإلا لاحظوا هنا في هذه الصورة بينان حال المنافقين أخذت ماسحة أكبر من عرض القصة، أليس كذلك؟

هذا كله؛ لأنه هذا الذي يهم المؤمنين، وكما قلت: هذا مشهد يتكرر، النسخ تتكرر هذه.

قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ ﴾ [الأحزاب:١٩]، يقول الله ﷻ لا تستغرب منه؛ لأنه أصلاً خاوي من الإيمان؛ لأن الإيمان هو الأصل الذي يكون منه الرجل، الرجولة تأتي من الإيمان.

قال تعالى: ﴿ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب:١٩]، لا زال يتحدث على المنافقين.

يقول: ﴿ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْ ﴾ [الأحزاب:٢٠]، تجد أن المعركة انتهت، وهو قد ذهب، استأذن النبي ﷺ وذهب، يقول: إن بيوتنا عورة، وهناك ما يصدق الأخبار أنهم ذهبوا، أبدًا يأتيه الرجل، ويقول: ترى ذهبوا، ما يصدق من شدة خوره، وخوفه ما يصدق أنهم ذهبوا.

قال تعالى: ﴿ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴾ [الأحزاب:٢٠]، إلا ويأتون مرة أخرى، ﴿ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ ﴾ [الأحزاب:٢٠]، يتمنى أنه لم يكن من أهل المدينة يومًا من الأيام، متسعد أن يتبرأ من المدينة، ومن أهل المدينة، وما كان في المدينة تبرأً تام.

قال تعالى: ﴿ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ ﴾ [الأحزاب:٢٠]، يتمنى أن يكون في البوادي، في الأعراب، مع الأعراب، ولم يكن يومًا من الأيام من أهل المدينة من خوفه.

وكما يقولون: يريد أن يذهب إلى مكانٍ آمن، لا يصله قدر الله ﷻ بزعمه.

قال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡ ﴾ [الأحزاب:٢٠]، يسألون عن أنبائكم من هناك يسأل عن الأخبار، ﴿ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب:٢٠]، هذا الله ﷻ

يشهد المؤمنين، ويؤيسهم من كونهم معهم، ترى أولئك عبء عليكم، لا تحزنوا أنهم ذهبوا، والله فلان استأذن وذهب لو كان، أبدًا ده ذهابه أحسن.

إلى هنا ذكر الله ﷻ مواقف المنافقين، ومن هنا تبدأ مواقف المؤمنين، وهي الصورة المشرقة التي ذكرها الله ﷻ في مقابل تلك الصورة الكريهة التي كانت من المنافقين.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

يقول الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢١:٢٣].

لازلنا مع سورة الأحزاب، وبعد أن ذكر الله ﷻ مواقف من مواقف المنافقين المخزية، وذكر بعض صورها الكريهة، ذكر هنا الصور المشرقة التي نجدها عند المؤمنين، وعلى رأسهم قائدهم نبينا محمد ﷺ.

يقول الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١]، هذا توبيخ لأولئك المنافقين الذين قد شحوا بحضورهم، وبجمالهم، وبكل ما فيه نفعٌ للإسلام، والمسلمين شحوا بذلك، وبخلوا بذلك، وابتعدوا عن ميدان القتال، ما أن النبي ﷺ هو بنفسه موجودٌ في هذه الغزوة.

فكأن الله ﷻ يقول لهم كيف تشحون بأنفسكم عن أمرٍ جاهد رسول الله ﷺ فيه بنفسه، هذا من ناحية.

من ناحية أخرى هنا: هذه قاعدة عامة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١]، مع أن هذه الآية نزلت في هذه الغزوة، إلا أنه العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب كما يقرره علماء الأصول، وعلماء التفسير، العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

النبي ﷺ في أعماله، وفي أقواله، وفي سلوكه أسوةٌ للجميع، والأسوة: هي القدوة، والقدوة قد تكون في أمرٍ سيء، وقد تكون في أمرٍ حسن، والنبي ﷺ هو أسوةٌ حسنة، أي قدوةٌ صالحةٌ يقتدون به في اليقين، والصبر، وسائر الفضائل.

والنبي ﷺ قد حضر بنفسه الهجاء، وهذا الحرب، حضرها بنفسه الكريمة، وباشر بنفسه موقف الحرب، فهو قدوةٌ للمؤمنين في جميع الفضائل.

وأفعال النبي ﷺ من حيث التأسي بها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أفعالٌ هي أفعال تعبدية، أو أفعال عبادة، وهذا هو الأصل في أفعال النبي ﷺ.

الأصل في أفعال النبي ﷺ مما يتأسى بها، ويتعبد بها، هذا هو الأصل.

القسم الثاني: أفعالٌ هي من قبيل العادة، وهذه الأفعال نعرفها إذا كان هذا الأمر يستوى فيه المؤمنون، والكفار كلهم.

وهناك عادات يستوي فيها الجميع كإطلاق اللحية، هذه عادة عند العرب قديمًا قبل أن يتطور، قديمًا عندهم هذه عادة، إطلاق اللحية، وكذلك تشمير الإزار، هذه عادة.

بالنسبة للعادات إذا لم يرد من النبي ﷺ حثٌ عليها تبقى على ظاهرها أنها من باب العادات، مع ذلك إذا أراد شخص أن يتأسى به حتى في العادة هذا يرجع حسب نيته.

فمثلاً: لو لم يأتي حثٌ عدم الإسبال، لو كان الإسبال وعدم الإسبال سواء، وكان النبي ﷺ لا يسبل، وهذا يتأسى به حتى في عادته، هذا يؤتى حسب نيته.

ولكن هذا الباب إذا لم يأتي من النبي ﷺ حثٌ على شيءٌ معين يبقى من باب العادة، وليس من باب العبادة.

وما ضربت به المثال تشمير الإزار مثلاً، كان هذا عادة، ولكن النبي ﷺ كان يشمر، ولا يسبل، وحث على التشمير، ونهى عن الإسبال، وبهذا كله دخل القسم الأول، مما يدل على أنه كان عادةُ عند العرب يقول الشاعر:

كَمِيشُ الإِزَارِ خارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ صَبُورٌ علَى العَزَّاءِ طَلاَّعُ أَنْجُدِ

هناك أشعار كثيرة تدل على أن التشمير كان من عادتهم، وكذلك إطلاق اللحية كان من عادتهم، فمثل هذه الأمور يكون كما قلت: الأصل فيها من قبيل العادات، إلا إذا كان هناك حثٌ من النبي ﷺ، أو نهيٌ عن شيءٌ معين.

القسم الأخير: الأفعال التي تتعلق بالجبلة، مثلاً: طريقة المشي، اللون، والمظهر، وهذه الأمور التي لا دخل للإنسان فيها.

وهذه الأمور هذه أمور جبلية، والأمر فيها أيضًا مثل الأمر في القسم الثاني.

طريقة المشي مثلاً: كان النبي ﷺ كان مقتصدًا، وطريقة المشي إذا كان الرجل من جبلته أنه يمشي مشي الخيلاء، فهنا يقال له: هذه المشية حاول أن تغيرها، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٨:١٩].

عمومًا هذه الآية دليلٌ للأصوليين الذين قرروا أن أفراد النبي ﷺ يجب التأسي بها، بعض أفعال النبي ﷺ حصل فيه شيءٌ من التقصير عند الأصوليين، بعضهم لا يعطيها ذلك الأهمية، تلك الأهمية التي ينبغي أن تكون لأفعال النبي ﷺ، يجعلها كلها من باب السنن، أفعال النبي ﷺ تختلف، فيها واجبات، وفيها سنن، وفيها ما بين ذلك.

عمومًا أفعاله يتأسى به فيها ذلك، وعلى هذا التفصيل الذي ذكرته.

يقول الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]، هنا نبه الله ﷻ إلى الوسائل التي تساعدك في الاقتداء بالنبي ﷺ منها: تقوية جانب المراقبة، أي لابد أن يكون يقينك بالله ﷻ قويًا، هذا هو الرجاء في الله، ولابد أن تستحضر أن هناك مصير، وأن هناك موت، وأن هناك حساب، وهو ذكرٌ لليوم الآخر.

ولابد أن تكون الصلة، صلتك بالله ﷻ قوية، دائمًا تذكر الله ﷻ، ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

هذه الأمور هي وسائل تقوي جانب الاقتداء بالنبي ﷺ، هذا ما يتعلق بالنبي ﷺ، وهو قائد المسلمين في هذه المعركة، وهو قائدهم في كل خير، كل ما نجده عند المسلمين فهو أسوتهم، وهو قائدهم، وهو المتقدم فيهم في كل هذه الفضائل، كل ما نجده عند المسلمين كأنه مفرقٌ من صفاته.

يقول الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ [الأحزاب:٢٢]، رأوا تلك الأحزاب التي تحزبت على المؤمنين، وكان الموقف كما وصفه الله ﷻ: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ

﴿ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب:١٠:١١]، هكذا كان الوضع، لما بلغت بهم الشدة إلى هذا الحد، وهذا كان منهم، لم يكن مثل المنافقين، ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب:٢٢]، الله وعدنا على لسان رسوله أنه ستكون هناك المحن، وستكون هناك ابتلاءات، وأن العاقبة ستكون للمؤمنين، وصدق الله ورسوله في الإخبار، فيما سيكون من النتائج، لا نشك في ذلك.

نعم نحن أخبرنا أن هذه الابتلاءات، وأن هذه المصاعب، وأنها ستكون، وأخبرنا أيضًا أن العاقبة للمتقين، ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢]، وتسليمًا، ورسوخًا، وانقيادًا، لم يتزعزع إيمانهم، ولم يكن موقفهم مثل ما وجدناه عند المنافقين، بل كل هذا الذي رأوه زادهم إيمانًا، وزادهم تصديقًا لكلام الله ﷻ، ولكلام رسوله، وزادهم يقينًا ورسوخًا في الإيمان.

هكذا ينبغي أن يكون المؤمن مع الفتن، ومع الابتلاءات، ومع الشدائد لابد أن يتذكر وعد الله ﷻ، ولابد أن تكون ثقته بالله ﷻ أعظم من كل شيء؛ لأنه هو الذي بيده أزمة الأمور، هو الذي يصرف الأمور.

ثم أخبر أيضًا عن صورة مشرقة جدًا في هذا الموقف الصعب، الشديد: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [الأحزاب:٢٣]، المؤمنون عمومًا هذا كان موقفهم، هنا لم يستثني، ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ [الأحزاب:٢٢]، لم يستثني.

هنا يذكر وصفًا لبعض المؤمنين الذين تميزوا على هذا، زيادة على ما ذكرته الآية الأولى، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [الأحزاب:٢٣]، طبعًا المؤمنون كلهم رجال، لو لم يكونوا رجال لم يكن هذا الموقف في هذا الموقف الصعب، كلهم رجال، ولكنهم يتفاوتون في ذلك، وهذا واضح من هذه الآية، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [الأحزاب:٢٣]، الرجال هنا من الرجولة، والرجولة وصفٌ زائدٌ على الذكورة، ليس هو مقابل الأنثى إنما هو وصفٌ زائد على الذكورة.

الذكران كثيرون، لكن الرجال منهم هم الذين يتصفون بصفات الرجولة من الشهامة، والشجاعة، والإقدام، والذين يتصفون بصفات الرجال الأفضال.

يقول الله ﷻ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]، هؤلاء في مقابل أولئك: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الأحزاب:١٥]، أولئك الذين نكثوا العهد، ونبذوه وراء ظهورهم، واعتبروا عهدهم مع الله ﷻ شيئًا مؤقتًا، موقفهم يختلف أولئك.

قال الله ﷻ: ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]، عاهدوا الله على أنهم سيصدقون في المواقف، وصدقوا في ذلك، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب:٢٣]، منهم من بلغ أمنياتهم، هكذا يمكن أن نلخص هذه الجملة، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب:٢٣]، أي منهم من بلغ أمنيته، لأن النحب بعضهم قالوا: نذره، وبعضهم قالوا: موته على الصدق والوفاء، وقيل: عهده، وعلى القول الأخير: أنه يتنظر يومًا فيه القتال فيسبق في اللقاء.

والنحب: عمومًا في كلام العرب يأتي بمعنى النذر، ويأتي بمعنى الشيء الذي يلتزمه الإنسان، ويعتقد الوفاء به.

بعبارة أخرى: النحب: هو الشيء الذي تراه ضروريًا بالنسبة لك، أو هو ذلك الهدف التي تريد أن تحققه بأي قيمة، هو النحب، هو الشيء الضروري.

يقول أحدهم:

عَشِيَّةَ فَرَّ الحارِثيُّونَ بَعدَما قَضى نَحبَهُ في مُلتَقى القَومِ هَوبَرُ

هوبر هذا: اسم رجل، أي التزم الصبر، بينما فر أولئك، هذا الرجل التزم الصبر إلى وفاتٍ، أو موتٍ فمات.

ومنه قول حسان رضي الله عنه:

مَساميحُ أَبطالٌ يُرَجَّونَ لِلنَدى يَرونَ عَلَيهِم فِعلَ آبائِهِم نَحبا

يرون أن الفضائل التي كانت آبائهم عليها، يرونها إرثًا ضروريًا بالنسبة لهم.

فالنحب: هو الشيء الضروري.

هنا نقول: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب:٢٣]، ما كان يتمناه وصله، بلغه.

لاحظ أنه كيف يتلف لهذه المواقف، بينما يفر من هذه المواقف أولئك الذين ذكروا هناك، هذا المؤمن، أو هؤلاء الرجال من المؤمنين يتلهفون لمثل هذه المواقف، يبحثون عن مثل هذه المواقف، يعتبرها غنيمة، ما كان يتمناه وصله، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب:٢٣]، ينتظر أن تكون هناك مواقف يصدق الموقف، ويصدق مع نفسه، ومع الله ﷻ في ذلك المطلوب، ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟﴾ [الأحزاب:٢٣]، الضمير يعود إلى هؤلاء الرجال، ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣]، في مواقفهم، وفي وعودهم، وفيما التزموا به، ما بدلوا تبديلا.

قال الله ﷻ: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٤]، اللام هنا إما للسيرورة، أو هي لام كي، والضمير يرجع إلى بداية القصة.

كل هذه الابتلاءات، والاختبارات، وهذه المحن لماذا كانت؟

﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٤]، لأن صدق الصادق يتبين في مثل هذه المواقف، وإلا كما يقولون:

لولا المشقة لساد الناس كلهم الجود يفقر، والإقدام قتار

الجميع يدعي أنه سيد، والجميع يدعي أنه فلان، ويذكر لك سلسلة، ولكن المواقف هي التي تبين، وهي التي توضح، وفيها يظهر فعلاً معادن الرجال.

قال الله تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب:٢٤]، أولئك المنافقين الذين تأذى منهم المسلمون بأنواع من الأذى، أولئك ينتظرهم الأذى، أما هؤلاء فيجزون بصدقهم.

الله ﷻ من رحمته، ولطفه، ومنه، وكرمه يستثنى هنا حتى مع أولئك من سعة رحمته، مما يدل على أن المؤمن الذي يرى في نفسه شيئًا من الإيمان لا ييأس من رحمة الله ﷻ.

هذا المنافق الذي منظره بهذا الشكل، حتى في حقه يستثني الله ﷻ، يقول: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٤]، حتى هذا المنافق، بل إن الله ﷻ يختم الآية بترجيح جانب الأمل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٤]، ما أعظم إحسانه، وما أكثر غفرانه، وعلينا أيها

الإخوة أن نأمل دائمًا رحمته، وغفرانه، وأن لا نيأس من رحمته، حتى هذا المنافق يؤمله الله ﷻ في رحمته، ﴿إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٢٤].

قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗا﴾ [الأحزاب:٢٥]، انتهت المعركة، والذين جاءوا ليستأصلوا المؤمنين، وليقطعوا دابرهم هم الأن يريدون أن ينجوا بأنفسهم، انفسهم في خطر، الجيش الذي جاء لينهي المسلمين يفكر كيف ينجوا بنفسه، لا يفكر في عدوه، انتهى هذا الأمر.

يقول تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ﴾ [الأحزاب:٢٥]، غيظهم الذي يفيض في قلوبهم رجع معهم، ﴿لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗا﴾ [الأحزاب:٢٥]، لا في الدنيا؛ لأن الذي يحاربونه من؟

النبي ﷺ، وانهزموا أيضًا، ولا في الآخرة؛ لأنهم كفار، ﴿لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا﴾ [الأحزاب:٢٥]، عند هذه الآية يقول ابن كثير رحمه الله، عند قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ﴾ [الأحزاب:٢٥]، يقول: في الآية إشارة إلى وضع الحرب بينهم، وبين قريش، وهكذا وقع بعدها، لم يغزوهم المشركون، بل غزاهم المسلمون في بلادهم، ثم ذكر أحاديثًا في هذا الباب:

منها الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بسندٍ صحيح، عن سليمان بن الصلت رضي الله عنه: «**الآن نغزوهم، ولا يغزوننا**»، في الآية إشارة إلى هذا.

قال تعالى:﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ [الأحزاب:٢٦]، من هنا إشارة إلى غزوة بني قريظة.

النبي ﷺ بعد ما انتهى من المعركة، وذهب إلى البيت، وكان يريد أن يغير اللباس جاءه جبريل، وأخبره أن المعركة لازلت، وأمره أن يتجه إلى بني قريظة.

ذكرت القصة باختصار أمس، وكيف أن نقضوا العهد، وكيف أن كبير بني النضير أقنع كبير بني قريظة أن يدخلوا معه في الحرب.

فأمر النبي ﷺ الصحابة، وقال لهم: «**لا يصلين أحدكم العصر، إلا في بني قريظة**»، وذهبوا، اتجه الصحابة إليهم، كلهم أدركهم العصر في الطريق، فبعضهم صلوا، وقالوا: مراد النبي ﷺ هو السرعة، وقد حصل، وبعضهم قالوا: لا ما دام أن النبي ﷺ نص على شيءٍ نحن نلتزمه، ولم يصلوا إلا في بني قريظة، صلوا العصر في وقت العشاء، والنبي ﷺ لم يعنف الفريقين، بل أقرهم.

ذهب إلى هناك، وحاصرهم، واستمر الحصار خمسًا وعشرين يومًا، ثم نزلوا على حكم المسلمين، على حكم سعد بن معاذ، وكان سيد الأوس، وكان بينه وبينهم حلف، فطمعوا في سعد بن معاذا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ظنوا أنه سيكون موقفه مثل موقفهم.

المنافق ابن سلول، نيست اسم المنافق.

الطلاب: عبد الله بن أبي بن سلول.

الشيخ: ليس عبد الله ابنه؟

الطالب: أبي بن سلول.

الشيخ: عبد الله ابنه أظن، يعني أبوه، الابن عبد الله أيضًا.

الطلاب: نعم.

الشيخ: هذا الذي على رأس المنافقين، كان أن نجح في استبقاء بنو قينقاع، وكانوا حلفائهم، وطمعوا أن يكون موقفهم مثل موقفهم، ونزلوا على حكم سعد.

وحكم سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن يقتل المقاتلة، وأن يسبى الذراري، النساء.

فكان من بلغ منهم، أسري من بلغ منهم فصولوا إلى قريبٍ من سبع مئة شخص، وخدت الأخاديد، وقتلوا فيها، وقتلوا ورموا في هذه الأخاديد، تقريبًا عددهم كان سبع مئة شخص.

وهكذا طهر الله عَزَّوَجَلَّ المدينة من اليهود، بنوا النضير تم إجلائهم، بنو قينقاع تم إجلائهم، وهؤلاء صفوا بهذه الطريقة، وهكذا طهر الله عَزَّوَجَلَّ تلك البلاد من اليهود.

هنا إشارة إلى ما كان معهم، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الأحزاب:٢٦]، هم بنو قريظة، الله عَزَّوَجَلَّ من صياصيهم، الصياصي: هي الحصون، الله عَزَّوَجَلَّ أنزلهم من صياصيهم، ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأحزاب:٢٦]، الرعب: هو الخوف الشديد، ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [الأحزاب:٢٦]، وهم الذين بلغوا، ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب:٢٦]، وهم السبي من الذراري، النساء، ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب:٢٧]، طبعًا أرضهم، وأموالهم، وديارهم هذا كله واضح، وأرضًا لم تطئوها هنا اختلف المفسرون، بعضهم قالوا: المراد

بهذه الأرض هي خيبر، وبعضهم قالوا: هي من الأرضي التي كانت في تلك الناحية مما لم يكن يحارب فيه المسلمون، والله أعلم.

على كل حال أرضًا لم تطئوها، ما كنتم ذهبتم إليها قبل، أيضًا الله ﷻ جعلها من نصيبكم، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٢٧]، وهكذا انتهت هذه المعركة، معركة الأحزاب، ومعركة بنو قريظة.

وهذه المعركة كانت فاصلة بين مرحلتين:

١ـ مرحلة كان المسلمون فيها هم الذين يستهدفون.

٢ـ مرحلة كان غيرهم هم المستهدفون كما في الحديث: «**الأن نغزوهم، ولا يغزوننا**».

بعد هذه الغزوة بدأ المسلمون يتوسعون في الفتوح، ولا أحد يفكر في استئصالهم في المدينة أبدًا، ولا أحد يغزوهم بالأشكال التي رأينا في أحد، وفي الأحزاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على سيد الأنبياء، والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴾ [الأحزاب:٢٨:٣١].

هذه الآيات فيها بيان من كان بين النبي ﷺ، وبين زوجاته أمهات المؤمنين.

بعد أن حصل ما حصل من الفتوح، وبعد ما حصل من التوسع، والوفرة في الأموال، رأى أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين أن يطالبن بالتوسع في النفقة، وكان النبي ﷺ قد اختار لنفسه الكفاف، ليس لأنه مأمورٌ به، ولكن هذا الذي رآه النبي ﷺ، وهذا الذي يليق بمقامه، ومنزلته، وهذا الذي كان عليه.

أمهات المؤمنين رأين أن من حققهن أن يطالبن بالتوسع في النفقة، وهذا الطلب لم يرحب به النبي ﷺ، وكان وقعه عليه شديدً.

وبعد هذه المطالبة نزل هذا التخيير من الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴾ [الأحزاب:٢٨]، النبي ﷺ خيرهن بنين البقاء معه على شغف العيش، على ما فيه من الكفاف، ولهن ما ينتظرن من الفضل في الدنيا والآخرة، وبين أن يخترن الدنيا، والتوسع في النفقة، وأن يكون مصيريهن السراح الجميل.

والنبي ﷺ بعد ما نزلت هذه الآية أول من فاتح في هذا الموضوع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها، طلب منها أن تستشير أبويها في هذا الموضوع.

ولكنها ﵂ أبت أن تستشير أبويها، واختارت البقاء مع النبي ﷺ، وطلبت منه ألا يخبر بقية أزوجه باختيارها، ولكن النبي ﷺ أنكر هذا، وأخبر الجميع باختيارها، ولم يكن منهن أي تردد في البقاء مع النبي ﷺ.

فلذلك كان جزائهن في الدنيا، و في الآخرة، في الآخر ما يتنظرن من مصاحبة النبي ﷺ، أما في الدنيا فسيأتي قوله سبحانه: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ ﴾ [الأحزاب:٥٢]، هذا كان مكافأةً لهن على مواقفهن، هذا تشير إليه الآيات.

قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴾ [الأحزاب:٢٨] أي يحصل الطلاق، وتذهبن، ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ [الأحزاب:٢٩]، أي البقاء مع النبي ﷺ، ﴿ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب:٢٩].

طبعًا مع اختيارهن البقاء مع النبي ﷺ انتهى هذا.

ثم يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ﴾ [الأحزاب:٣٠]، كل هذا هنا إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٤]، هذا كله بعد اختيارهن للبقاء مع النبي ﷺ، ما دمن اخترن هذا الموقف، ما دمن أن اخترتن أن يكونوا أمهات المؤمنين، فهذا المقام له ما له من التبعات، مقامٌ عظيم أن تكن أمهات المؤمنين، وبالتالي له تبعات أيضًا عظيمة تليق بهذا المقام، فلذلك هذه الوصايا.

وهذه الوصايا تدخل فيها أيضًا نساء المؤمنين عمومًا، وهذا من قبيل ما ذكره ابن كثير ﵀ في بداية السورة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ [الأحزاب:١]، ذكر أن فيه أن أمرٌ بالتقوى، أمر المؤمنين بالتقوى من قبيل التنبيه بالأعلى إلى الأدنى.

فوصية الله ﷻ لأمهات المؤمنين، فيه وصية لغيرهن أيضًا؛ لأن هذه الوصايا يحتاج إليها الجميع، وهذا سيأتي التنبيه عليه فيما يتعلق بالحجاب، وما يتعلق بالتبرج في الآيات التي سنتلوها الآن إن شاء الله.

قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ [الأحزاب:٣٠]، وهذا يدل على تأكيد ما ذكرته، من يأتي بفاحشة من النساء عمومًا فلها العذاب، كون هذا العذاب يضاعف لهن يدل على أن بقية النساء أيضًا داخلة في هذه الوصايا، ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ [الأحزاب:٣٠]، هي شريكة في أصل العذاب، ولكنها لأمهات المؤمنين ضعفٌ أخر لمكانتهن، ولشرفهن، ولارتباطهن بالنبي ﷺ؛ لأن هذا الذي يمس أعراضهن يمس أيضًا عرض النبي ﷺ، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ [الأحزاب:٣٠].

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ﴾ [الأحزاب:٣١]، يقنت: أي يخضع، ويطع،﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾ [الأحزاب:٣١]، أيضًا يدل على أن بقية نساء المؤمنين داخلة في هذه الوصية، ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ [الأحزاب:٣١].

قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٢]، مقامكن مقام القدوة، كما أن النبي ﷺ هو القدوة لهذه الأمة، فمقامكن مقام القدوة، فلا تقسن أنفسكن على بقيت النساء، ﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب:٣٢]، ما يمسكن يمس النبي ﷺ مباشرةً في العرض، وبالتالي لابد أن تراعوا هذا المقام الخاص، ﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ [الأحزاب:٣٢]، مقتضى التقوى أنكن لا تخضعن بالقول.

لا تخضعن بالقول: معناه لا تلن بالقول، والحديث للرجال.

الله ﷻ هنا ينهاهن أن يكن في نظراتهن ذلك الخضوع، اللين الذي يثير الشهوة، ويحرك الغرائز، مع أنهن أمهات المؤمنين، كونهن أمهات المؤمنين هذا يجعلهن في مقامٍ لا أحد يفكر في هذا المرض، وهذا التوجيه متى؟

في عهد النبوة، المخاطب هنا أمهات المؤمنين، والعهد عهد النبوة، ومع ذلك هذه الوصية موجهة لهن، ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ﴾ [الأحزاب:٣٢]، لماذا؟

﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب:٣٢]، المرض هذا مرض الشهوة، وهذا المرض هو أعنف مرض في الإنسان، مرضٌ عنيفٌ جدًا، ولا يمكن التغلب عليه، إلا بالتقوى، إلا بالمراقبة الدائمة.

هذا المرض، وكل ما يؤدي إلى هذا المرض كما قلت: أعنف مرضٍ في الإنسان، والله ﷻ خلق الإنسان بهذه الطبائع، والغرائز، وأمره أن يضبط هذه الطبائع، والغرائز حسب أوامره، ونواهيه.

فمن أفلت زمامه في مثل هذه الأمور، فلا يمكن أن ينضبط، ولا يضبطه إلا التقوى، لذلك يقول: ﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب:٣٢]، حتى في الخطاب التزمن بالقول المعروف، وهو القول الذي لا يلُموكنّ عليه أحد، إذا اطلع أي إنسان لا يلموكم عليه.

مثلاً: القول الذي يوجه للأجنبي حسب الضرورة، إذا اطلع زوج المرأة لا يستنكره، هذا هو القول المعروف لا يستنكره أحد، أما إذا كان فيه ما فيه، لو اطلع عليه فلان، أو علان فهذا ليس من القول المعروف.

وكما قلت: كل هذا، والعهد عهد النبوة، فكيف بنا اليوم، والبيئة بدأً من البيت، والمحيط، والمدرسة، عمومًا كل شيء فيه فتنة.

ثم يقول الله ﷻ: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب:٣٣]، وقرن من القرار، قرن في بيوتكن: أي الزمن في بيوتكن، ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:٣٣]، تبرج الجاهلية الأولى ذكره المفسرون، بعضهم قالوا: كانت النساء تمشي بين الرجال، وبعضهم قال: كن لا يشددن الخمار على رؤوسهن؛ لأن الخمار إذا لم يشد ممكن يسقط.

وكل الصور التي ذكرت في التبرج الأولى تعتبر صورً محتشمةً جدًا مقارنة بما نراه الآن، التبرج الجاهلية الأولى مقارنة بما نراه الآن هو صور محتشمة جدًا، لا أقول هذا مبالغة، وإنما هذا هو الواقع.

حتى الحجاب الآن، الناس يتحدثون عن الحجاب، وهو السفور، الذي يتحدث عن الحجاب يتحدث عن كشف الرأس، أما كشف الوجه عند كثيرٍ من الناس هذا أصلاً ليس داخلاً في الحجاب.

طبعًا هذا كما قال بعضهم: الإسلام بين جهل أبناءه، وعداوة أعدائه، أحدهم له كتيب في هذا.

جهلٌ من المسلمين، وعداوةٌ من الكفار وصلنا فيها إلى هذا الحال.

الناس الآن يتحدثون عن الحجاب، والحجاب هو عدم كشف الرأس، أما كشف الوجه فهذا أصلاً لا يدخل في الحجاب عندهم، وسنتحدث عن الحجاب إن شاء الله فيما سيأتي.

قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:٣٣]، الأصل بالنسبة للمرأة القرار في البيت، هذا هو الأصل، والخروج استثناء إذا كانت هناك حاجة، نعم تستطيع هي أن تخرج، وتقضي حاجتها حسب الضرورة، والضرورة تقدر بقدرها.

ولكن الأصل البقاء في البيوت، ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب:٣٣]، بعضهم يقول: أن هذا الخطاب موجه إلى أمهات المؤمنين فقط، طيب أنتِ أطهر منهن ما شاء الله!

بما أنك أطهر منهن هذا الخطب لم يوجه إليك.

قال تعالى: ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الأحزاب:٣٣]، بعد نهين عن هذا الشر الذي يكون في صورة التبرج، والسفور يأمرهن الله ﷻ بهذا الخير الذي يقوي هذا الجانب، وهو: ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الأحزاب:٣٣]، كل هذه الأمور هي تقوي يعني بالإيمان، إقامة الصلاة، أيضًا آتين الزكاة، والزكاة فيها إحسان على نفسك، وعلى الفقير، ﴿ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الأحزاب:٣٣]، هذا فيه إجمال، تعميم بعد تخصيص، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣]، يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا، وغيره من المفسرين: هذا نصٌ في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت، لماذا؟

لأنهن هن سبب نزول هذه الآيات، فإذا كنّ من أهل البيت، فأقربائهن من باب أولى كما في حديث (٤٨:٥٠) أقربائهن من باب أولى، فإذا كن هن من أهل البيت، أما كونهن من أهل البيت هذه الآيات، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب:٣٣]، الهدف من هذه الأوامر، ومن هذه النواهي هي إزالة الرجس، كيف يزال الرجس؟

بعدة مسائل:

١ـ بعدم التبرج.

٢ـ بعدم السفور.

٣ـ بعدم الاختلاط.

٤ـ بعدم ما يؤدي إلى هذه الشرور.

٥ـ أيضًا بإقامة الصلاة.

٦ـ بأداء الفرائض.

كل هذه الأمور مسائل لإزالة الرجس، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، وأؤكد وأقول: أن الخطاب لأمهات المؤمنين يشمل الجميع، جميع نساء المؤمنين، لماذا؟

لأن الجميع بحاجة إلى إزالة الرجس، وإلى التطهير، أليس كذلك يا رجال؟

أما من لا يريد إزالة الرجس، يريد أن تبقى النساء في الرجس، ويبقى أن تبقى النساء في هذه، ويريد ألا تكون هناك طهارة فشأنه أخر.

كل هذه الجمل من الألفاظ تدل على أن المستهدف، والمخاطب بهذه الآيات هم في المقام الأول، أمهات المؤمنين، ويدخل معهن جميع نساء المؤمنين.

ثم قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب:٣٤]، هنا أيضًا الله ﷻ يذكرهن في سياق بيان مكانتهن، يذكرهن أيضًا بشيءٍ عظيم، ليس غيرهن، ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٤]، وهذا لا يوجد في بيوت أحدٍ من النساء، ما هو؟

﴿مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب:٣٤]، والحكمة: هي سنة النبي ﷺ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٤]، فإذا كانت أمهات المؤمنين لهن هذا الامتياز، أنه يتلى في بيوتهن القرآن، والحكمة فلمن كان لها أوفر نصيب في هذا فضلها أكثر، وهي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضها.

وكثيرٌ من الكلاب يذكر هذه الآيات استدلاً بها، وتنقيصًا لمقام أم المؤمنين عائشة، وهم من لم لا يدرك بهم، ولا يُأبى بهم، ولولا وجود الكتب ما أشرنا إلى أقوالهم أبدًا، أولئك لا يعتد بهم لا في الخلاف، ولا في الوفاق.

والله ﷻ طهر بيت النبوة، أشاد ببيت النبوة بهذا الشكل، وخلد مقامهن بهذا الشكل في هذا الكتاب، وهذا الكتاب هو كتاب الله ﷻ رغم أنوف هؤلاء الحاقدين، ينطق بمقامهن، ويشيد بمواقفهن.

ونسأل الله أن نكون ممن يدعوا لهن دائمًا، وألا نكون من أولئك المنحرفين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

هذه الآيات تأتي بعد الآيات التي كان فيها مخاطبة، أو خطاب لأزواج النبي ﷺ خاصةً.

يذكر الله ﷻ هنا صفات المؤمنين، والصفات التي يتحقق بها الإسلام، والإيمان، والإحسان.

درجات الدين الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان كلها تحقق بهذه الصفات التي ذكرها الله ﷻ هنا.

هذه الصفات التي يأمر بها المسلم، والمؤمن الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق، والصبر، والخشوع، والصدقة، والصيام، وحفظ الفروج، وذكر الله ﷻ، هذه عشرة صفات.

الإسلام، والإيمان لما يجتمعان يفترقان كما تعلمون، ولما يفترقان يجتمعان، لما يُذكران معًا يكون المراد بالإسلام: الأعمال الظاهرة، والمراد بالإيمان: الأعمال الباطنة، أعمال القلوب كما تتبعها.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، القنوت: هو الطاعة في سكون، ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، من الصدق في الأقوال، والأفعال، ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، الصبر يكون:

١ـ صبراً على المصائب.

٢ـ صبراً على الأوامر، تحمل الأوامر.

٣ـ صبراً على النواهي، وهو ثلاثة أقسام.

والصبر هو سجية الأسباط، وكما قلت: وينقسم إلى ثلاثة أقسام، والصبر فيه العلم، واليقين بأن المقد كائنٌ لا محالة، وهذا يجعل الصابر ثابت الجأش دائمًا، ويجعله مقدامًا، ويجعله شجاعًا، ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، الخشوع هو الذل لعظمة الله ﷻ، أن يكون في القلب، وفي الجوارح.

والفرق بينه، وبين الخضوع أن الخضوع في البدن، والخشوع في القلب، والجوارح، ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، الصدقة الواجبة، والنفل، وكذلك الصيام، ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، يحفظون فروجهم من الزنا، ومن مقدمات الزنا، وكل ما يؤدي إلى الزنا، ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥]، هذا الأجر الذي أعده لهم هو عظيم، ولا يقدره إلا الله ﷻ، لا يقدر قدره إلا الله ﷻ، لا يمكن أن تقدر.

مع كل هذه الصفات العظيمة، لابد أن يصدر منهم ما يستوجب مغفرة الله ﷻ، فكل هذه الصفات لا يعني أنهم معصومون، مع كل هذه الصفات، لابد أن تكون هناك ثغرات، الله ﷻ أعد لهم مغفرةً عما يقعون فيه، وأجرًا عظيمًا.

ثم قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

هذه الآية أولاً هي قاعدة عامة، وثانيًا هي موطئة لما بعدها من المسائل، وخاصةً مسألة التبني.

يقرر الله ﷻ هنا أن المؤمن، والمؤمنة ليس لهم أمام قضاء الله وحكمه حكمًا، فإذا قضى الله ورسوله أمرًا: أي حكمًا، فليس لهم الخيار في أن يعملوا به، أو لا يعملوا به، أبدًا ليس عندهم الخيار، وهم ملزمون بما حكم به الله ورسوله، ﴿وَمَا كَانَ﴾ [الأحزاب:٣٦]، هذا اللفظ هو نفي، ومعناه الحظر، والمنع، وهو أبلغ في المنع من صيغة النهي؛ لأن فيه نهيًا، وأيضًا فيه بيان قبح هذا، لا يجتمع مع الإيمان، هذا الوصف لا يجتمع مع الإيمان.

كيف يكون حكم الله ﷻ، وحكم لرسوله، ويكون لك أيضًا رأيًا فيه، أنت لك أيضًا لك رأيًا في هذا الحكم تأخذه، أو لا تأخذه، هل هو يصلح لك، أولا يصلح لك، هل يصلح لهذا الزمان، ولا يصلح، هل يصلح لهذه البيئة، أو لتلك البيئة، أو لا يصلح، أبدًا هذا لا يجتمع مع الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ﴾ [الأحزاب:٣٦]، هكذا قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي: يكون، وقراءة الباقين: أن تكون لهم الخيرة، وهذه القراءة بمراعاة اللفظ، أن تكون لهم الخيرة.

أما قراءة عاصم، وغيره فنظرًا إلى المعنى؛ لأن المعنى الاختيار، وكلاتهما قراءتان متواترتان، ومن القراءات السبع.

يقول سبحانه: ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]، بين الله ﷻ هنا أولاً: أن هذا هو مقتضى الإيمان.

ثانيًا: بين أن من يخالف هذا، قد ضل ضلالً مبينًا، أي واضحًا لا غموض في هذا الضلال، لا يفسر بشيءٍ أخر، إنما هو ضلال، سماه حكمةً، سماه فلسفةً، سماه رأيً، سماه ذوقًا، سماه عقلاً، مهما تغيرت الأسماء، إنما هو ضلال واضح.

فهناك الدافع، وهو أن هذا مقتضى الإيمان، وهناك أيضًا ما يحذر من الوقوع في الضلال.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب:٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٣٧]، هذه الآيات من هنا إلى قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٠]، هذه الآيات كلها تتعلق بقضية زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها.

وزينب بنت جحش هي ابنة عمة النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ قد زوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه، وزيد بن حارثة كما تعرفون كان مملوكًا لخديجة رضي الله عنها، كان اشتراه لها حكيم بن حزام، وكان وكيلها

للتجارة، كان اشتراه في سوق عكاظ، وكان بعض الظلمة خطفوه من أمه، كان يمشي مع أمه، وأخذوه من أمه، وذهبوا به إلى السوق وباعوه، واشتراه حكيم بن حزام لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما تزوجها النبي ﷺ أهدته لزوجها، وكان أبوه، وأعمامه يبحثون عنه، وتسامعت الأخبار أنه في مكة، وجاءوا وطلبوا منه أن يذهب معهم، فخيره النبي ﷺ بين البقاء معه، وبين الذهاب مع والده، فاختار البقاء مع النبي ﷺ، فالنبي ﷺ أعتقه، وكان حبه، وزوجه هذه القريشية العظيمة، وهذا تعظيمًا له.

وهذه القرشية التي بنت عم النبي ﷺ ما كان ترضى بزواجه، حتى أخبرها النبي ﷺ، أو أريد المشايخ يذكروني، النبي ﷺ عرض عليها أن تتزوجه، وأيضًا هل ألزمها؟

الطلاب: أخبرها فقط.

الشيخ: وماذا أخبرها؟

الطالب: عرضه للزواج.

الشيخ: لا لا الذي أذكر أنه ألزمها، هكذا أذكر والله أعلم؛ لأنها سألت النبي ﷺ، وهل هو رأيه، والله أعلم سنتأكد، والله أعلم أنه ألزمها.

المهم تزوجها، من الذي زوجها النبي ﷺ، طبعًا هنا أساطير، نحن لذلك أكدت على هذا، هذه الأساطير ذكرها كثير من المفسرين، وأنا ما أدري كيف كتبوا هذه الأساطير، كتبها حتى بعض المفسرين الذي لهم باعٌ طويل، وعمقٌ في التفسير، وأن النبي ﷺ قد وقع في قلبه حبها، وبعضهم ذكر قصص، وأنه عاشقها، وكان يتمنى أن يطلقها زيد حتى يتزوجها.

ويبدوا أن الذي ذكر ليس له أثر، وإنما هناك إلهام، والله أعلم أن زيدًا سيطلقها، ولما يطلقها سيتزوجها النبي ﷺ، هذا الذي في قلبه.

لو كان قد وصل به الهيام، كما يقولون إلى هذا الحد، الله ﷻ هنا يقول: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ [الأحزاب:٣٧]، الله ﷻ سيبديه، طب لم يبدى هذا، الله ﷻ لم يبدي هذا، الذي أبداه أنه تزوجها، نعم كان يريد أن يتزوجها، أما أنه قد ذهب إليها، وهي قد كانت كشفت عن، وقالت كيت، وكيت والله أعلم، وليس لك هذه الأمور أساس.

على كل حال هي زوجة من؟

زوجة زيد، وزيد متبنى النبي ﷺ، في بداية السورة ذكر الله ﷻ إبطال ما كان من التبني، ما كان في بداية السورة.

الطالب: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب:٥].

الشيخ: قبلها.

الطالب: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ ﴾ [الأحزاب:٤].

الشيخ: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡ ﴾ [الأحزاب:٤]، وهنا أراد الله أن يبطل هذا بفعل النبي ﷺ مباشرةً، يكون هو الذي يبطله، وهو أول من يعمل بهذا، وهكذا كان.

في صحيح مسلم، يقول أنس: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «**فاذكرها عليا**»، أرسله هو، أرسل زيد، قال: فانطلق زيد حتى أتاها زيدٌ، وهي تخمر عجينها.

يقول زيد: فلما رأيتها عظمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري، ونقصت على عقبي، فقلت: يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعةٍ شيئًا حتى أُوامر ربي، أي استأمره، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وهي تصلي، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذنٍ، لماذا؟

لأن الله ﷻ زوجها، ﴿ زَوَّجۡنَاكَهَا ﴾ [الأحزاب:٣٧].

فقال: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز، واللحم حين امتد النهار.

المهم يقول الله ﷻ هنا: ﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ﴾ [الأحزاب:٣٧]، أنعم عليه بماذا؟

بالإسلام، سبحان الله، كيف أنه سيق إلى هذه النعمة، اختطف من أمه، وجيء به إلى سوق عكاظ، وبيع هناك مثل السلع التي تباع، وتشترى ثم يشتريه فلان، ويأتي إلى حجر النبي ﷺ، ويكون حب رسول الله ﷻ، ثم أنعم عليه الله ﷻ بالإسلام، وهذه تزكية من الله ﷻ لزيد، تزكية له ظاهرًا، وباطنًا

وهذا من فضائله، ومن فضائله أن الله ﷻ ذكره بالاسم، وهو الصحابي الوحيد الذي ذُكر بالاسم في القرآن، أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالعتق، أعتقه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب:٣٧]، لأنه جاءه يشكوها، وأنها تتعاظم، وأن المشاجرة بينهما دائمة.

تكرر مجيئه إلى النبي ﷺ، وهو يريد طلاقها، والنبي ﷺ يأمره بالحفاظ عليها، ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ ﴾ [الأحزاب:٣٧]، ما الذي يخفيه في نفسه؟

إن وصلت الأمور إلى الطلاق، أنا سأتزوجها، ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ [الأحزاب:٣٧]، طبعًا هنا في هذه الآيات الله ﷻ أثبت أنه كان يخشى الناس، وأثبت أنه لا يخشى الناس، وهذه فائدة السياق والسباق، ما هي الخشية التي أثبتها لها، وما الخشية التي نفاها عنه، وعن جميع الأنبياء؟

الآية التي بعدها: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب:٣٩]، وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ.

هذه الخشية هنا هي الخشية التي تكون بسبب الغوغاء من الناس؛ لأنهم سيقولون محمد نكح زوجة ابنه، حتى أنه لن يقولوه، متبناه زوجة ابنه، وهكذا حصل، كانت هذه مادة خصبة للمنافقين، ومن يدور في فلكهم في تشويه صورة النبي ﷺ.

ولذلك جاءت هذه الآيات المتعاقبة ترفع الحرج عن النبي ﷺ، ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب:٣٧]، وإلا النبي ﷺ لا يخشى الناس كما سيأتي.

ثم قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا ﴾ [الأحزاب:٣٧]، الوتر هنا يشمل الجماع، وأيضًا لم تبقى له حاجة فيها، ﴿ زَوَّجۡنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب:٣٧]، الله ﷻ هو الذي زوجها، وكانت زينب تفتخر على بقية نساء النبي ﷺ، وكانت تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله ﷻ من فوق سبع سموات، ولها أن تفتخر بهذا.

ولذلك هي تصلي، والنبي ﷺ دخل عليها بلا شهود، الله ﷻ هو الذي زوجها، ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧]، الضمير الذي يرجع إلى النبي ﷺ مقدم على الضمير الذي يرجع إلى زينب، ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧].

لذلك ذكر بعض المفسرين قال: الذي يعقد العقود عليه أن يقدم اسم الزوج على اسم الزوجة.

قال تعالى: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ [الأحزاب:٣٧]، من الأدلة على بطلان ما يذكره بعض المفسرين قول الله ﷻ: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ [الأحزاب:٣٧]، لم يقل لأنك كنت تحبها، قد يكون هناك، لكن سبحان الله هذا الذي نسج شيء، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب:٣٧]، حتى نرفع الحرج عن المؤمنين، وحتى تكون أنت أول من يكون هذا العمل، وهذا الحكم.

وإذا كان النبي ﷺ هو الذي طبق، فمن الذي يعير على هذا، ويبقى هذا.

قال تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب:٣٧]، هذه الأسباب التي حصلت، النبي ﷺ هو الذي زوجه، ثم حصل بينهما الشقاق المتكرر، ووصلت الأمور إلى كما يقولون طريق مسدود، يبادر زيد بطلاقها، ثم يتزوجها النبي ﷺ.

كل هذه الأمور قدرها الله ﷻ، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب:٣٧]، ليس هناك ما يمانعه، وليس هناك ما يكن يعيبه.

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الأحزاب:٣٨]، ما زالت الآيات في هذا الموضوع، ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الأحزاب:٣٨]، أي فيما كان مقدرًا له من الأزواج، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ [الأحزاب:٣٨]، ليس هو الوحيد في هذا الباب، ﴿سُنَّةَ

﴿ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨]، لازلت الآيات في هذا الموضوع، ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُ﴾ [الأحزاب:٣٨]، من؟

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٣٩]، هم الأنبياء، والرسل، ﴿وَيَخۡشَوۡنَهُۥ﴾ [الأحزاب:٣٩]، يخشون الله ﷻ، ﴿وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب:٣٩]، كل هذه الآيات في هذا الموضوع، حتى هذه الآية: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾ [الأحزاب:٤٠]، الضمير هنا يرجع إلى الموجدين، أحدٌ من الموجدين ليسوا من أبناءه لا زيد، ولا غير زيد، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، هذه قراءة عاصم: خَاتَم، وقراءة البقية: خَاتِم، هو الذي ختم، خَاتَم: هو الذي ختمت به الرسالة، وخَاتِم: هو الذي ختم، وكلاهما في بمعنى واحد؛ لأن الخاتم هو الطابع الذي يكون في أخر الرسالة.

من طرائف أحد المتنبهين، وهو قد يعني يقول: خاتم النبين: معناه أنه طابع، هو الذي طبع عليه أيضًا، يعني هو يختم أنك نبي، الذي يصل إلى هذه الدرجة يختم له، والنبي من ختم له، وكان قد ادعى قبل ذلك أنه هو المهدي، ثم ادعى أنه نبيٌ، ولكنه تحت نبوة النبي ﷺ، حتى تطور، وتدرج إلى أن صار نبيًا مستقلاً، وهو أحد الكذابين المعاصرين.

وهناك فرقة تنتسب إليه، وتسمى هذه الفرقة زورًا، وتدليسًا، وتلبيسًا: الأحمدية.

أحمد هذا هو أحمد رضا اسمه، والناس يظنون أن هذا أحمد النبي ﷺ، وهم المعرفون بالقاديانية، ولهم قنوات للأسف الشديد، ولهم سوقٌ، وخاصةً في الغرب.

قال الله ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤٠]، يقول الله ﷻ بعد هذه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١:٤٢].

يأمر الله ﷻ المؤمنين أن يذكروه ذكرًا كثيرًا، روى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، ولا أذكر هل رواه الإمام أحمد، روى أن أبا سعيد الخدري، وأبا هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «**من استيقظ من الليل، وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعًا، كُتبا من الذاكرين الله كثيرًا، والذاكرات**»، في بعض

الروايات: «في تلك الليلة»، وما أسهل هذا العمل إذا أردنا أن نعمل به، ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤١]، الذكر ليس له حدود.

وذكر المفسرون، ومنهم الشيخ ابن سعدي، طبعًا تفسير ابن سعدي كما تعرفون هو مختصر، لكنه تفسير بديع جدًا.

ذكروا: أن الذي يحافظ على الأوراد المسنونة، وخاصةً التي تكون في طرفي النهار يدخل في هؤلاء الذين يذكرون الله كثيرًا.

يقول الله ﷻ: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤٢]، ذكر هنا أول النهار، وآخر النهار تنبيهًا على أن الذكر يكون آكد أكثر لما تتغير الأحوال، أنت تصبح، وتمسي على خير، أليست هذه نعمة من نعم الله ﷻ تستوجب عليك أن تذكره، وتشكره، وتحمده.

ولذلك الأذكار التي في طرفي النهار كثيرة، فلنحافظ على بعضها حتى نكون من هؤلاء، أو نكون على هامش هؤلاء.

يقول الله ﷻ: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤٢]، روى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة»، في بعض الروايات: «من قالها صباحًا»، وفي بعض الروايات: «مطلقًا»، غفر له ما تقدم من ذنبه سبحان الله، «سبحان الله وبحمده مائة مرة»، ما أسهلها.

يقول الله ﷻ: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤٢:٤٣]، يذكر الله ﷻ عظيم فضله على المؤمنين، وأنهم بسبب الإيمان الله ﷻ يسهل لهم طرقًا ليست هذه الطرق من سعيهم أبدًا، منها أن الله ﷻ هو الذي يصلي عليه، وصلاته عليهم: رحمته، وثنائهم عليهم، الله ﷻ هو الذي يصلي على المؤمنين، ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب:٤٣]، صلاة الملائكة: هو الدعاء لهم، ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر:٧].

سبحان الله الإيمان سبب لهذه الأمور، الملائكة تدعوا لك بسبب إيمانك، هذه الرابطة بينك، وبين الملائكة، وهذا كله من فضل الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، هذا كله في الدنيا، وما ينتظرهم في الآخرة أعظم، ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤]، ذكر المفسرون أن معنى سلام: أن لهم أمنٌ، وسلامٌ من كل مكروه.

وذكروا أيضًا أن معنى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤]: أن الله ﷻ يسلم عليهم، وهذا هو الصحيح، هذا صحيح، والأول صحيح كما في سورة يس: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨]، وهذه أعظم نعمة، وهذه النعمة: أن يسلم الله ﷻ قولاً، ويقول: السلام عليك، هذه النعمة معها أيضًا نعمة الرؤية، فلذلك استدل بهذه الأدلة أئمة أهل السنة الذين يثبتون الرؤية، استدلوا أيضًا بهذه الأدلة.

الله ﷻ يسلم على المؤمن، ويقول له: السلام عليك، سبحان الله، ما أعظم هذه النعمة، أليس كذلك يا شباب؟

الطلاب: بلى.

الشيخ: أحدنا لو باشر بكلمة من عظيم طار بها، ونشرها على جميع الوسائل، الله ﷻ بنفسه يسلم على المؤمن، ويقول: السلام عليك، والله هذه نعمة عظيمة، ونسأل الله أن يكون من أولئك.

الطلاب: أمين.

الشيخ: سلوا الله بفضله، ورحمته، ومنته، وكرمه أن يجعلنا من أولئك، ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٤].

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المتقين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين: نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

يقول الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب:٤٥:٤٨].

لازلنا مع سورة الأحزاب، في هذه الآيات التي تلونها يبن الله ﷻ خلاصة دعوة النبي ﷺ، بماذا أرسل، وما هي مهمته، وما هي رسالته، ومن الذي سيستجيب له، ومن الذي سيتنكر من دعوته، وما ينتظر كل خليقة.

هذه الآيات أبدع في تفسيرها الشيخ ابن سعدي في تفسيره: تيسير كلام الرحمن في تفسير كلام المنان.

ولحسن ما ذكره، والإبداع الذي سطره أحببت أن أقرأ كلامه حتى لا أخطئ في التعبير عنه، لأن كلامه مختصر، ومركز على هذه الآيات.

يقول الشيخ بن سعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآيات: **هذه** الأشياء، التي وصف الله بها رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم، هي المقصود من رسالته، وزبدتها وأصولها، التي اختص بها، وهي خمسة أشياء.

ما ذكره في هاتين الآتين: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٥:٤٦]، يقول: هنا خمسة أشياء:

أحدها: كونه {شَاهِدًا} أي: شاهدًا على أمته بما عملوه، من خيرٍ وشر، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة:١٤٣] ويقول: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٤١]، فهو صلى الله عليه وسلم شاهد عدل مقبول.

الثاني، والثالث: كونه {مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}، وهذا يستلزم ذكر المبشر والمنذر.

من الذي تبشره، ومن الذي تنذره.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: وما يبشر به وينذر.

ما الذي عمله حتى تبشره، وما الذي عمله حتى تخوفه.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: والأعمال الموجبة لذلك.

فالمبشَّرون هم: المؤمنون المتقون، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، وترك المعاصي، لهم البشرى في الحياة الدنيا، بكل ثواب دنيوي وديني، رُتب على الإيمان والتقوى، وفي الأخرى بالنعيم المقيم.

وذلك كله يستلزم، ذكر تفصيل المذكور، من تفاصيل الأعمال، وخصال التقوى، وأنواع الثواب.

هذا ما يتعلق بالمبشرين.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: والْمنْذَرُون هم: المجرمون الظالمون، أهل الظلم والجهل، لهم النذارة في الدنيا، من العقوبات الدنيوية والدينية، المترتبة على الجهل والظلم، وفي الأخرى بالعقاب الوبيل، والعذاب الطويل.

وهذه الجملة تفصيلها ما جاء به ﷺ من الكتاب والسنة المشتمل على ذلك.

الرابع: كونه {دَاعِيًا إِلَى اللهِ} أي: أرسله الله، يدعو الخلق إلى ربهم، ويسوقهم لكرامته، ويأمرهم بعبادته، التي خلقوا لها، وذلك يستلزم استقامته، على ما يدعو إليه.

وهو يكون مستقيمًا أولاً.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: وذكر تفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم لربهم بصفاته المقدسة، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وذكر أنواع العبودية، والدعوة إلى الله بأقرب طريقٍ موصل إليه، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإخلاص الدعوة إلى الله، لا إلى نفسه وتعظيمها، كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام، وذلك كله بِإِذْنِ الله تعالى له في الدعوة وأمره وإرادته وقدره.

الخامس: كونه {سِرَاجًا مُنِيرًا} وذلك يقتضي أن الخلق في ظلمةٍ عظيمة، لا نور يُهتدى به في ظلماتها، ولا علم يستدل به في جهالاتها، حتى جاء الله بهذا النبي الكريم، فأضاء الله به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدى به ضُلالاً إلى الصراط المستقيم.

فأصبح أهل الاستقامة، قد وُضح لهم الطريق، فمشوا خلف هذا الإمام، وعرفوا به الخير والشر، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، واستناروا به؛ لمعرفة معبودهم، وعرفوه بأوصافه الحميدة، وأفعاله السديدة، وأحكامه الرشيدة.

كلامٌ جميلٌ جدًا، ومركز في تفسيره هاتين الآتيين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٤٦:٤٥].

يقول شيخ الإسلام في قوله: ﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٤٥]، يقول: الله ﷻ وصف النبي ﷺ بأنه السراج المنير، ووصف الشمس بأنه السراج الوهاج، وبينهما يقول: فرق، فالسراج المنير تستفيد من نوره دون أن يكون هناك ما يؤذيك، أما السراج الوهاج فيه ما يؤذيك؛ لأن له حرارة تؤذي، وهذه الحرارة، وتوهجها مما يمنع من الاستفادة مثل السراج المنير.

يقول شيخ الإسلام أيضًا عند قوله: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٤٦]: يقول: من دعى، هذا نصه، يقول: من دعى إلى غير الله تعالى فقد أشرك، ومن دعى إليه بغير إذنه فقد ابتدع، والشرك بدعة، والمبتدع يؤول إلى الشرك غالبًا، ولم يوجد متبدعٌ، إلا وفيه نوعٌ من الشرك.

هذا نص كلامه: ولم يوجد متبدعٌ، إلا وفيه نوعٌ من الشرك، وذكر بعض الأمثلة.

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٤٧]، هذه بشارة عظيمة جدًا من الله للمؤمنين، ﴿بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٤٧]، إذا كان الله ﷻ يصف هذا الفضل بأنه كبير، فلا يمكن أن تحده بحد.

نقل ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ عن والده، يقول والده: أن قول الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٤٧]، هذه من أرجى آيات الله عنده، لماذا؟

لأن الله سبحانه قد أمر نبيه بأن يبشر المؤمنين بأن له عنده فضلاً كبيرا، فقد بين الله الفضل الكبير ما هو؟

بينه في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَٰتِ ٱلۡجَنَّٰتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الشورى:٢٢]، الفضل الكبير أنهم سيكون في روضات الجنات، لهم ما يشآءون عند ربهم، والنبي ﷺ يأمره سبحانه أن يبشر المؤمنين أن لهم هذا الفضل الكبير.

فعلاً ما ذكره ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن والده فائدة تستحق التنبيه.

بعد أن بين الله ﷻ مهمة رسوله، ذكر أن الناس سيكون فريقين:

١ـ مؤمنون.

٢ـ كفار.

أما بالنسبة للمؤمنين فيقول الله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٧].

أما بالنسبة للكافرين الذين كفرهم واضح، يظهرون كفرهم، والمنافقين الذين كفرهم ليس واضحًا، لا يظهرون كفرهم، يبطنونه ويعلون الإسلام، فلهم موقف آخر، وسيكون دائمًا من العوائق في سبيل الدعوة إلى الله ﷻ.

الله ﷻ يأمره بقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب:٤٨]، كما ورد هذا في أول آية في أول السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [الأحزاب:١]، لا تطع الكافرين والمنافقين؛ لأنهم هم الذين سيصدون عن السبيل، ولكن كيف تتعامل معهم، لم يفرطوا في الأذى، لم يفرطوا في كل شر مع النبي ﷺ، ولكن كيف تتعامل معهم؟

﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾ [الأحزاب:٤٨]، ما يكون منهم من الأذى، لا تقابله بالأذى.

ذكر شيخ الإسلام أن هذه الآية منسوخةٌ بآية السيف، وذكر آيةً أخرى أيضًا نسيتها، ولكنه ذكر أن أحوال المسلمين تختلف، فإذا كانوا عاجزين عن مواجهتهم، ولا يكون حالهم مثل حال المؤمنين بعد أن هزموا المشركين، والمنافقين فلهم أن يعملوا بهذا.

أما إذا كانوا أقوياء فليسوا مأمورين بهذا: ﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾ [الأحزاب:٤٨].

نستفيد بهذا أن حسب ظروفك، وحسب مكنتك، وحسب ما تجد تعمل بهذه الآية، أو بآية السيف.

ولا شك أن ما تمر به الأمة الآن قد تحتاج إلى مثل هذه الأمور؛ لأنك لما تقابل هؤلاء المنافقين بالأذى يتكالبون عليك أكثر، ويشغلونك أكثر، فالاستمرار في طريق الدعوة دون التركيز على مقابلة الأذى بالأذى هذا هو الأصلح، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الأحزاب:٤٨]، طيب ماذا نفعل بأذاهم؟

يقول: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٤٨]، الله ﷻ هو الذي سيكفيكم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب:٤٨].

هذا فيه كما يقول ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه تأنيس للمؤمنين، أن هناك من يكفيكم، وهناك من يكفي مؤنتكم، وهناك من يدافع عنكم، من؟

الله ﷻ الذي بيده أزمة الأمور، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب:٤٨].

ثم قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب:٤٩].

هذه الآية فيها أحكام عديدة ذكرها المفسرون، من تلك الأحكام: أن الله ﷻ أطلق النكاح على العقد فقط.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن إطلاق النكاح على العقد فقط لم يأتي، إلا في هذه الآية، وإلا اصطلاح القرآن أن النكاح يطلق على العقد، وما بعده، ولا يطلق على العقد فقط.

يقول: ليس في القرآن آيةٌ أصرح في ذلك منها، أي في الإطلاق على العقد فقط، واستعمال القرآن للنكاح في: العقد، والوطء وما بعده، إلا في هذه الآية.

في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب:٤٩]، هنا يقول ابن كثير: أن هذا خرج مخرج الغالب، إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة، والكتابية في ذلك بالاتفاق.

قال تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ [الأحزاب:٤٩]، فيه دليل على أن الطلاق لا يقع، إلا إذا تقدمه النكاح، وهذه المسألة مختلفٌ فيها، وقد عقد الإمام البخاري بابًا مستقلاً في هذه المسألة، وذكر أثار كثيرٍ من السلف لتقرير هذا الذي قلته: أن الطلاق لا يقع، إلا إذا تقدمه النكاح.

فإذا قال شخص: أي امرأةٌ تزوجتها فهي طالق، فهذا لا يقع، وإذا قال: إذا تزوجت فلانةٌ، وحددها فهي طالق، حتى هذا لا يقع.

طبعًا هذا مذهب جماهير السلف، والآية تدل على هذا، ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ [الأحزاب:٤٩].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب:٤٩]، يقول شيخ الإسلام هنا: في هذا دليل على أن العدة للزوج، في المسألة خلاف، ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب:٤٩]، وما دام أن الزوج ليس له عليها عدة، بالتالي لها أن تتزوج، وليس عليها أن تتنظر، طبعًا إلا في حالة واحدة كما ذكر ابن كثير: لا يستثنى في هذا، إلا المتوفى عنها زوجها، وإنها تعتد منه أربعة أشهرٍ، وعشرًا وإن لم يكن دخل بها.

ابن كثير يقول: هذا أيضًا بالإجماع.

في غير هذه السورة: ليس لأحد عليهن من عدة يعتدونها.

قال تعالى: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب:٤٩]، هذا المتاع سواءً كان النصف من المهر، أو ما تيسر من المتاع تعطى تطيبًا لخاطرها، وتسرح سراحًا جميلاً.

ثم قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٠].

هذه الآية المخاطب بها هو النبي ﷺ مباشرةً، ولكن المسائل التي ذكرت هنا بعضها مما تشترك معه الأمة، وبعضها مما يختص بها النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ [الأحزاب:٥٠]، هذا مما يشترك معه فيه الأمة، إذا تزوجت وآتيت الزوجة المهر، الأجور هنا المهور، فهذه حلال للجميع.

إذًا هذه المسألة ليست من المسألة الخاصة بالنبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ﴾ [الأحزاب:٥٠]، هذا أيضًا ليس مما يختص به النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ﴾ [الأحزاب:٥٠]، هذا أيضًا مما لا يختص به النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ ﴾ [الأحزاب:٥٠]، هذا خاص بالنبي ﷺ، تقول، ولو أن الرواية فيها ما فيها، تقول أم هانئ أخت علي بن أبي طالب، تقول: خطبني النبي ﷺ، فاعتزلت فعزلني، ثم نزلت هذه الآية، فحرمت عليه؛ لأنني كنت من الطلقاء، ولم أكن ممن هاجرن معه.

إذًا هذا القيد هو خاصٌ بالنبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ﴾ [الأحزاب:٥٠]، هذه من الأقارب، كلهن من الأقارب.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا من العدل، الوسطية التي في الإسلام، وهذه الوسطية بني إفراق النصارى، وتفريق اليهود.

النصارى لا يتزوجون المرأة، إلا إذا كان الرجل بينه، وبينها سبعة أجداد، بعيدة وإلا لا يتزوجونها، وهذا إفراط أليس كذلك.

الطلاب: نعم.

الشيخ: واليهود يتزوج أحدهم ببنت أخيه، وبنت أخته، وهذا تفريط، وفي الإسلام لا هذا، ولا هذا.

فبنات العم، بنات العمات، بنات الخال، بنات الخالات هذه كلها حلال.

ذكر المفسرون هنا لماذا أفرد العم، والخال، وجمع العمات، والخالات، ذكروا وجوه كثيرة، مما أعجبني ما ذكره القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: أن الخال، والعم اسم جنس مثل الشاعر، والراجز، أما العمات والخالات يكون لغةً لم يرد هذا.

هذا التفريق لغويٌ بحت، والله أعلم.

بعضهم ذكروا: أن لفضلهم أفردهم، لا يظهر الفضل هنا، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ [الأحزاب:٥٠]، ذكر هنا شرطين في هذا الحكم: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ [الأحزاب:٥٠]:

أولاً: هي تهب نفسها للنبي.

ثانيًا: إن أراد النبي أن يستنكحها.

بهاذين الشرطين يجوز أن يتزوجها بدون مهرٍ، وبدون شهودٍ، وبدون بقية القيود.

قال تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأحزاب:٥٠]، هنا بين الله عَزَّوَجَلَّ أن هذا الحكم خاصٌ بالنبي ﷺ، ومن هنا أخذ الأصوليون: أن الأحكام المذكورة تستوي فيها الأمة مع النبي ﷺ، إلا إذا ورد دليلٌ خاصٌ على الخصوصية.

قال تعالى: ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأحزاب:٥٠]، طيب بالنسبة للمؤمنين؟

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ [الأحزاب:٥٠]، المفروض عليهم في أزواجهم شيءٌ معروف.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: من حصرهم في أربعة نسوةٍ حرائر، وما شاءوا من الإماء، واشتراط الولي، والمهر، والشهود.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ هذه الأمور المعروفة التي قد شرعت لهم.

قال تعالى: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ [الأحزاب:٥٠]، الذي بعد هذا الحكم خاصٌ بك، ولماذا أيضًا هذه التوسعة تشترك فيها مع الأمة؟

يعني هناك أحكام خاصة بك، وأحكام تشترك فيها مع الأمة، ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ [الأحزاب:٥٠]، الحرج: هو الضيق، لكي لا يكون عليك حرج، وضيق، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٠].

طبعًا هذه الآية مع الآية التي ستأتي.

ثم قال تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب:٥٢].

ذكر المفسرون أن ما ذكره الله ﷻ هنا بقوله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الأحزاب:٥٢]، هذا كان مكافأةً لأمهات المؤمنين على موقفهن من اختيار البقاء مع النبي ﷺ على شغف العيش، وعدم مفارقته لأجل الدنيا، بعد ذلك الموقف الله ﷻ كافئهن بهذا: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الأحزاب:٥٢]، من الآن لا يحل لك أن تتزوج، وتتوسع في هذا، ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأحزاب:٥٢].

مثلاً: عنده التسعة، لا يجوز أن يتزوج مثلاً العاشرة، ولا يجوز أيضًا أن تطلق واحدة، وتكمل هذا العدد التسعة، لا يجوز، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب:٥٢].

اختلف المفسرون هنا في وضع هذه الآية مع تلك الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ [الأحزاب:٥٠]، ذكر القرطبي رحمه الله، ولم أجده لغيره، ذكر أن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ [الأحزاب:٥٠]، هذه الآية منسوخة بتلك الآية.

طبعًا هناك قول معروف، وهو مستند إلى دليل أن هذه الآية منسوخة بالسنة، هذا قول معروف، و هناك حديث رواه عائشة رضي الله عنها، أخرجه أصحاب السنن، والحديث صحيح، أو لا يقل عن درجة الحسن، وهو تقول عائشة رضي الله عنها: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء.

ولذلك هناك قول أن هذه الآية منسوخة بالسنة، أي آية.

الطلاب: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ [الأحزاب:٥٢].

الشيخ: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ [الأحزاب:٥٢]، هذا القول المعروف، أما القول بأن هذه الآية منسوخة بتلك الآية، وأن الله ﷻ قال هنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ ﴾ [الأحزاب:٥٠]، هذا فيه مع النسخ تضيق للمجال، لأن هذه الآية لو نسخت، وترك الباب مفتوحًا حصل له النصيب، ما دام أن هذه الآية فيها مكافأة لهن، والله ﷻ منعه من التوسع في هذا تطيبًا لخاطرهن، ثم يفتح الباب على مصرعيه، أيضًا والله ﷻ فتحه، ولكن ضيقه، وذكر هذه المذكورات هنا: ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ﴾ [الأحزاب:٥٠]، معدود.

هذا ذكره القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكلامه معقول جدًا، ولا أستطيع أن أجزم به؛ لأني لم أجده لغيره، هو أثار سؤالاً: كيف تكون هذه الآية المتأخرة ناسخةً للآية المتقدمة؟

يقول: هذا موجود في القرآن، فمثلاً في

الطالب: العدة.

الشيخ: أحسنت في سورة البقرة، مئتي وأربع وثلاثين.

الطالب: الآية مئتي وأربعين.

الشيخ: لا مئتي وأربعين منسوخة، والناسخة؟

الطالب: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم ﴾ [البقرة:٢٤٠].

الشيخ: لا، مئتين وأربع وثلاثين منسوخة، والمفروض تكون هي متأخرة، بس هي متقدمة.

الطالب: الناسخة؟

الشيخ: إي، اقرأ الآية.

الطالب: الناسخة؟

الشيخ: الناسخة.

الطالب: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [البقرة:٢٣٤].

الشيخ: هذا الانتظار أربعة أشهر وعشرا، هذه الناسخة، هذه رقم كم؟

الطالب: مئتين وأربعة وثلاثين.

الشيخ: نعم.

الطالب: الآية مئتين وأربعين: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة:٢٤٠].

الشيخ: هذه متأخرة مثل ما هو هنا، فالآية المتأخرة منسوخة، والآية المتقدمة ناسخة.

على كل حال كما قلت لكم: هذا ذكره القرطبي، والله أعلم، أنا حكيت لكم كلامه.

أما القول بأن هذه الآية منسوخة بالحديث، فهذا القول قال به أيضًا البعض، وهو الحديث صحيح الإسناد، لا يقل عن درجة الحسن.

الطالب: مثل العزيز؟

الشيخ: نعم.

الطالب: مثل العزيز؟

الشيخ: نعم.

يقول الله ﷻ:﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥١].

﴿ تُرْجِى ﴾ [الأحزاب:٥١]، هكذا قراءتنا، قراءة حفص، وفي قراءة عاصم، وغيره من القراء: «ترجئ»، وكلاهما بمعنى واحد.

يقال: أرجيته، وأرجأته كلاهما بمعنى واحد، أي أخرته.

قال تعالى: ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ ﴾ [الأحزاب:٥١]، وتؤخر من تشاء منهن، ﴿ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ [الأحزاب:٥١]، تئوي: أي تضم إليك في المبيت، ﴿ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ ﴾ [الأحزاب:٥١]، أي ممن أخرتهن، ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ [الأحزاب:٥١]، أن تئويهن، أن تعكس الأمر، ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن

﴿ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ ﴾ [الأحزاب:٥١]، اختلف المفسرون هنا في متعلق هذا التأخير، بعضهم قال: هذا متعلقٌ بالواهبة، لك أن تقبل هبتها، ولك أن ترفض هبتها.

وبعضهم ذكر أيضًا أقوالاً أخرى، والصحيح والله أعلم: أن هذا يرجع إلى القسمة، وأن النبي ﷺ قد رفع عنه وجوب القسمة، وأن الأمر يرجع إليه، لا تجب عليه القسمة بين النساء، ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ﴾ [الأحزاب:٥١]، من زوجاتك، الله ﷻ أرجع الأمر إليه، وبين الحكمة هنا.

هذا اختاره كثيرٌ من المفسرين من السلف، ومن المتأخرين الذي ركز على هذا القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي هذه المناسبة ذكر خصائص النبي ﷺ فردها: خصائصه في المأمورات، خصائصه في المنهيات، وذكر أن هذا من خصائص النبي ﷺ: أنه لا تجب عليه القسمة بين النساء.

الله ﷻ هنا ذكر العلة، والحكمة لماذا لا تجب عليه؟ هل الله ﷻ يريد الإجحاف بأزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين؟

لا وألف لا، طيب لماذا؟

ذكر الحكمة هنا: ﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ ﴾ [الأحزاب:٥١]، في هذا فائدة للطرفين، فائدة للنبي ﷺ أنه لا يجب عليه وجوبًا شيئًا معين هنا، والنبي ﷺ لم يعمل بهذا التخيير، ألزم نفسه بوجوب القسمة إلى آخر حياته ﷺ، ولكن هذا الحكم فيه رسالة للنساء: ﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ ﴾ [الأحزاب:٥١]، أليس المطلوب أن تفرح الزوجة، وأن يكون بيت الزوجية سعيدًا، أليس كذلك؟

إذا شعرت المرأة أن لها حقًا على الزوج، تحاسبه على مزاجها، هي تنسى بعد ذلك، نحن نتحدث عمومًا، هي تنسى بعد ذلك أن الزوج أيضًا عنده حسابته، وأنه لن يقصر، وأنه سيعدل هذه الأمور تنساها، عندها مسطرة تحاسبه على المسطرة، ألا يجب عليك العدل؟

نعم يجب، طيب ما هو العدل؟

بمنظارها الضيق تحاسبه، وتنكد عليه العيش، واضح يا مشايخ؟

الطلاب: واضح.

الشيخ: من لم يكن معددً لن يفهم ما أكن مريدًا، وبالتالي الله ﷻ هنا ريح نبيه من هذا، وقال لهن: ما يأتينكن منه ليس هناك شيء يجب عليه، بالتالي هذا أيضًا يريح أليس كذلك؟

وإلا هي مشغولة بحقها، هل حقي وصل، ولا ما وصل، سبحان الله تشغل نفسها، وتشغل زوجها، والحق هذا بمنظارها هي.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥١]. فإذا شعرت أن هذا لا يجب عليه، مع ذلك يعطيني من الحقوق ما لا أحلم به، هذا يسعدها، ويشعرها بوزنها عند زوجها، أليس كذلك يا مشايخ؟

الطلاب: بلى.

الشيخ: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ﴾ [الأحزاب:٥١]، وإلا فهي دائمة الحزن، حقي ما وصل، وهناك التفريط، وأن هناك كيت، وكيت سلسلة طويلة، ﴿وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥١]، من يعطيها؟

النبي ﷺ، ﴿وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥١]، مع هذا كان النبي ﷺ يوجب على نفسه القسمة، وكان يقول ﷺ: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تأخذني فيما لا أملك**».

حتى في مرضه الذي توفي فيه كان يتمنى أن يتمنى أن يكون في بيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكان يريد أن يتنقل إلى هناك دون أن يستشير، مع ذلك كان يسأل أين أكون غدًا، حتى فهمت أم المؤمنين، فهمن إشارته وذهب ﷺ.

وهكذا هناك شعور أن الذي يأتيني ترى ليس واجبًا عليه، هكذا يسعد البيت.

سبحان الله في هذا أيضًا رفع الحرج عن النبي ﷺ، وإكرامًا له، كما أنه فيه إسعاد أيضًا لأمهات المؤمنين؛ حتى لا ينشغلن بأمرٍ ليس فيه فائدة.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥١]، مع كل هذا قد يحصل ما يحصل من التفريط من الطرفين، والله ﷻ لا يخفى عليه شيء، وهو حليم.

طبعًا أخذنا لا يحل لك النساء.

يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٣].

في هذه الآية يبن الله ﷻ عظمة بيت النبوة، ومكانة بيت النبوة، البيت الذي يسكن فيه نبي هذه الأمة، هذا البيت له خصوصيته، ويتعامل على نحوٍ خاص يرضي، ولا يتعامل على أمانينا نحن، وإلا من سيفرط في الجلوس مع النبي ﷺ إذا كان الباب مفتوحًا، كل واحد يتمنى أن يجلس معه إلى الفجر، ولكن تتعامل معه على نحوٍ يرضيه هو.

الله ﷻ تولى تنظيم بيت النبوة بنفسه، ولم يتركه للنبي ﷺ، هذا كله تعظيمًا لشأن النبي ﷺ.

كما علق عند قوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٣]، شيخ الإسلام علق هنا على هذه الجملة يقول: جعله عظيمًا، تعظيمًا لحرمته ﷺ.

يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾ [الأحزاب:٥٣]، هذا أولاً، إذا لم يؤذن لكم لا تدخلوا، ﴿إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ [الأحزاب:٥٣]، إذا أوذن لكم، ودعيتم إلى طعام، لا تذهبوا إليه أن ينضج، ﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ [الأحزاب:٥٣]، إناه: مصدر أنى الشيء، بالألف المكسورة، أنا الشيء يأني إذا فرغ، وحال.

يقول الشاعر:

تمخَّضتِ المنونُ له بيومٍ أنَى ولكلّ حاملةٍ تِمامُ

أي كل حامل ستلد في وقتها.

أنى: أي أدرك، وبلغ، ﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ [الأحزاب:٥٣].

أي منتظرين، إناه: أن نضجه واستوائه، لا تذهبوا هناك قبل ساعة وتجلسون، تذهبون في الوقت الذي يدعوكم فيه النبي ﷺ.

يقول تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ [الأحزاب:٥٣]، طيب لما تدخلون ماذا تفعلون؟

﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾ [الأحزاب:٥٣]، الفاء: للتعقيب، مع الوصل، ثم: للتعقيب مع الفصل، ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾ [الأحزاب:٥٣]، أي فانتشروا بسرعة، ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب:٥٣]، لأن حديث النبي ﷺ ستستأنسون به، وأيضًا حديث بعضكم لبعض في مجلس النبي ﷺ ستستأنسون به، ولكن هذا لا يجوز، ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب:٥٣].

طبعًا هذه الآية نزلت، وقال المفسرون: نزلت بعدما حصل، كما يقولون في حفل زواج زينب بنت جحش رضي الله عنها.

أخرج الإمام مسلم وغيره، الحديث طويل، وقرأنا بعضه أمس، أقرأ لكم موضع الشاهد، يقول أنس رضي الله عنه: وجلس منهم طوائف يتحدثون في بيت رسول الله، ورسول الله ﷺ جالسٌ، وزوجته مولية وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ فسلم على نسائه كلهن، ثم رجع فلما رأوا رسول الله ﷺ قد رجع ظنوا أنهم قد ثقلوا، فابتدروا الباب فخرجوا كلهم، وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر، ودخل وأنا جالس في الحجرة، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى خرج عليه، وأنزلت هذه الآية، آية الحجاب فخرج رسول الله ﷺ، وقرأهن على الناس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٣]، الآية، آية الحجاب.

يقول الجعد، يقول أنس بن مالك: أنا أحدث الناس عهدًا بهذه الآيات، وحجبنا نساء النبي ﷺ، هذا لفظ الإمام مسلم، هذا سبب النزول.

ثم يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ [الأحزاب:٥٣]، هذا الفعل، ولو أنكم ما قصدتموه، إلا أنه يؤذي النبي ﷺ.

ذكر شيخ الإسلام هذه الآية في الصارم المسلول، وذكر أن الفعل بالنظر إلى حصول الأذى، أو عدم حصول الأذى ينقسم إلى قسمين:

١ـ فعلٌ معروفٌ أنه للأذى.

٢ـ فعلٌ ليس للأذى، ولكن قد يحصل منه الأذى.

أنتم معي؟

الطلاب: نعم.

الشيخ: الفعل إذا آذى النبي ﷺ، ولم يكن مما يقصد به الأذى، وحصل الأذى بدون نية الأذى، هذا من الكبائر، وينهى عنه الشخص.

أما إذا كان الفعل مما يؤذى به، يحصل به الأذى، والفاعل يقصد ذلك، ويستشعر هذا، فهذا خارج من الملة، وهذا يجب قتله.

تعرفون كتاب شيخ الإسلام: الصارم المسلول على شاتم الرسول، هذا من الكتب التي ألفها في أوائل شبابه.

وهنا ما حصل من الصحابة، ليس مقصودًا، وليس هو مما يؤذى به، أليس كذلك؟

هذا عمومًا أنت لما تذهب إلى بيت أحد، وتجلس عنده هذا لتقديره، لتعظيمه هكذا الغالب، وليس من الأفعال التي تؤذي، فلذلك الصحابة من عظيم حرصهم على النبي ﷺ، إلا أنهم يحتاجوا إلى تنبيهٍ من الله ﷻ.

يقول: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:٥٣]، هذا ما سيأتي في قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٩]، هذا يدخل في آيات الحجاب.

في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:٥٣]، لماذا؟

لأنه لا يجوز أن ترونهن، لا يجوز أن تروا وجوههن، هل الوجه داخل في الحجاب، أو لا؟

سنبحث في الآية التي تلوتها، المهم هذا من آيات الحجاب:

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:٥٣]، هذه فيه إشارة أنك إذا لم تكن بحاجة إلى هذا، فلا تتكلف هذا، ولكن إذا كنت بحاجة، وسألتهن متاعًا فليكن على هذا النحو: ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:٥٣]، لماذا؟

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣]، هذا فيه بيان العلة، والحكمة كما سبق في قول الله ﷻ: يريد الله﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب:٣٣]، هنا أيضًا: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣]، هذا يدل على أنه ليس خاصًا بأمهات المؤمنين؛ لأن الطهر، والعفاف مما أمر به الجميع، ولا اختصاص لأمهات المؤمنين به.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣]، إذا كان هذا خاص بأمهات المؤمنين، نساء المؤمنين ألا يحتجن إلى الطهر، والعفاف؟

الطلاب: بلى.

الشيخ: وبالتالي هذا ليس خاصًا بهن، ولكن منزلتهن، وقدرهن، واتصالهن بالنبي ﷺ، ونسبتهن إلى النبي ﷺ هذا يجعل مقامهن في المقدمة، وأن هذا الخطاب موجه إليهن في المقام الأول.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٥٣]، سبق وأن ذكرت عند قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ [الأحزاب:٣٦]، أن ما كان هذا للنهي، والمقصود به النهي، وأن البلغ هنا أبلغ من صيغة النفي، وهنا هذا أيضًا: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٥٣]، الصحابة رضي الله عنهم أبعد الناس عن إرادة الأذى لرسول الله ﷺ، ولكن الله ﷻ ينبههم إلى أمورٍ قد لا يتفطنون إليها، قد يظنون أن هذا مما لا يؤذي النبي ﷺ، ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٥٣]، عمومًا، ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب:٥٣]، هذا على الخوص، ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب:٥٣]، هذا أيضًا لا يجوز، وفيه أيضًا أذىً للنبي ﷺ، ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٣]، وذكرت لكم أيضًا كلام شيخ الإسلام، يقول: جعله عظيمًا تعظيمًا لحرمته ﷺ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٣]، أن تتزوجوا أزواجه بعده، هذا عند الله ﷻ خطير، ولا ينبغي أن يفكر فيه المسلم.

عكرمة بن أبي جهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تزوج أخت الأشعث، نسيت اسمها، أخته تزوجها، وكاد أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يحرق البيت، فذكره عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال له: هذه طلقه النبي ﷺ، وليست من أمهات المؤمنين، وإلا كان يريد أن يحرق البيت بما فيه، هكذا تعظيم الصحابة لشأن النبي ﷺ.

بعد هذا كله ينبه الله عَزَّ وَجَلَّ، ويذكر بأمرٍ أن نتذكره دائمًا: ﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٤]، كل هذه الأحكام لابد أن تعمل بها، ويكون مقصودك هو التقوى، ولابد أن تتذكر أن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يخفى عليه شيء: ﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٤]، لا يخفى عليه خافية.

بعد أن ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ هنا: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب:٥٣]، بعد أن ذكر هذا استثنى من يجوز لهم، ومن لا يحتجبن منهم، وقال: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٥]، هؤلاء المذكورين هنا لا يحتجبن منهم.

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۚ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾ [الأحزاب:٥٥].

لم يذكر هنا الخال والعم، وعدم ذكرهم هنا، طبعًا هذا يسمى مفهوم الخطاب، لا يقدم على النص ما دام ذكر في مكان أخر، فيكون ذلك النص هو الذي يُعمل به، فعدم ذكره هنا لا يتعارض مع عدم ذكره هناك، وبعض المفسرين قالوا: هما يدخلون في الآباء، الخال والعم، على كل حال هذا قد يكون فيه شيءٌ من التكلف.

هذا الخطاب لمن؟ ﴿ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب:٥٥]؟

لأمهات المؤمنين ولغيرهن؛ لأن هذه الأحكام في النهاية تتعلق بالنساء.

الله عَزَّ وَجَلَّ هنا أمر الرجال بما يخصهم، ويبقى جانب النساء أيضًا خطير، فإذا لم يحصل التقوى منهن فلا ينفع ما قد يحتاط به الرجال ما ينفع، ولذلك يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾ [الأحزاب:٥٥]، أيضًا لا يخفى عليه شيء، الله عَزَّ وَجَلَّ يراقب الأعمال، والأفعال، ويعلم ما في الصدور، ويعلم خائنة الأعين، فلابد أن نستحضر علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولابد أن نراقب هذا.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين: نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ [الأحزاب: ٥٦:٥٨].

لازلنا مع سورة الأحزاب، وقد بين الله ﷻ في هذه الآيات عظيم مكانة نبيه محمد ﷺ عنده، وعظيم جاه، وعظيم قدره، ومنزلته عنده ﷻ.

والله ﷻ رفع قدره، وأظهر هذا وأمرنا أن نستشعر هذا، وأمرنا أيضًا أن نتعبد بالصلاة عليه حتى نزاد حبًا له ﷺ، وحتى أيضًا ينالنا نصيب هذه العبادة: التقرب إلى الله ﷻ بحب نبيه ﷺ.

وأخبرنا أن الله ﷻ يثني عليه في الملأ الأعلى، ويحبه، ويزيده جاهًا ومنزلةً، وأمرنا أيضًا أن نقتدي في الصلاة عليه ﷺ.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، إن هذا للتأكيد، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، الله ﷻ يصلي على نبيه ﷺ، وملائكته يصلون على النبي ﷺ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، أمرنا الله ﷻ أن نصلي عليه، وأن نسلم عليه.

اختلف المفسرون في معنى الصلاة على النبي محمد ﷺ، وقد ذكر الأكثرون: أن صلاة الله ﷻ عليه بمعنى رحمته، وفضله عليه، هذا ذكره أكثر المفسرين.

وأورد الإمام البخاري: عن أبي العالية: أن صلاة الله ﷻ على نبيه: هو ثناءه في الملأ الأعلى.

أطال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المسألة، في كتابه القيم: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمدٍ خير الأنام، وهذا الكتاب من أفضل الكتب التي ألفها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، كتبه كلها قيمة، وهذا الكتاب من أفضها، وهذا الكتاب فريدٌ في هذا الموضوع، في موضوعه.

خلاصة ما ذكره في هذا الموضوع: أن صلاة الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ: هو الثناء عليه في الملأ الأعلى، والعناية به، وإظهار شرفه، وفضله، وحرمته، وإرادة تكريمه، وتقريبه، ورفع ذكره.

هذا صلاة الله ﷻ على نبيه، صلاة الملائكة عليه: الثناء عليه، والدعاء له.

صلاتنا نحن على النبي ﷺ: أن نطلب من الله ﷻ أن يصلي عليه، وكيف صلاتنا عليه؟

هذا الذي ذكرته: نطلب من الله ﷻ، وندعوه، ونتوسل إليه، ونطلب منه أن يثنى عليه في الملأ الأعلى، وأن يزيده شرفًا، وأن يظهر شرفه أكثر، وأن يقربه، ويرفع ذكره أكثر، هذا صلاتنا على النبي محمد ﷺ.

فصلاتنا فيه خبر، وأن النبي ﷺ مرفوعٌ ذكره يثني الله عليه في الملأ الأعلى، فيه خبر وطلب.

وثناء الله ﷻ أيضًا فيه، وفيه أيضًا بيان أن الله ﷻ يريد أن يزيده شرفًا، وأن يظهره في العالم العلوي، والسفلي، وأن طلب هذا الدعاء من الله ﷻ يزيدكم أيضًا شرفًا، وتكريمًا.

إذا كان الله ﷻ يصلي عليه، وملائكته يصلون عليه، فنحن أولى بالصلاة عليه؛ لأن كل خيرٍ فينا فمن هذا النبي الكريم، كل خيرٍ وصلنا بدون استثناء، فأنت ذكر هذا النبي الكريم، فلماذا لا نصلي عليه؟

الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ له وقفة طويلة في تفسيره، ذكر المواضع التي يستحب أن نصلي علي النبي ﷺ، ويتأكد الصلاة عليه، ذكر المواضع بالأدلة، وذكر الأحاديث الكثيرة جدًا في فضل الصلاة عليه، وتعرض أيضًا لمسألة حكم الصلاة عليه في العمر مرةٍ، أو في المجلس لما يُذرك النبي ﷺ هل يجب أن تصلي عليه، أو هو متسحب.

وأيضًا في التشهد الأخير، وفي التشهد الأول هل يجب أن تصلي على النبي ﷺ، وذكر الأقوال في ذلك، وخلاصة ما ذكره فيه: أن مذهب الإمام الشافعي، ومذهب إسحاق بن راهويه في طبقة تلاميذه، قرين الإمام أحمد في الإمامة، والعلم، والطلب.

مذهبهما: أن الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير فرضٌ، واجبٌ، وأن من ترك الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير فلا صلاة له.

وكنت أقارن لما حققت جزءً من مستخرج أبي عوانة، وكنت أكتب في مذهبه، وأن الشافعية ذكروه في طبقاتهم لأبي عوانة.

يقول أبي إسحاق الإسفراييني، من تلاميذ الإمام مسلم، وله المستخرج على صحيح مسلم، توفي سنة ثلاث مئة وستة عشر.

كنت أقارن أقواله بأقوال الأئمة، فوجدته أقرب إلى الإمام أحمد، أقواله أقرب أقوال الإمام أحمد، هذا في معظم المحدثين، هكذا تجده، والشافعية في الغالب عندهم، يعني يذكروه في طبقات الشافعية، حتى الإمام أحمد يذكرونه في طبقات الشافعية، معدود من تلاميذ الإمام الشافعي.

على كل حال وجدت أن أبا عوانة يذهب إلى وجوب الصلاة على النبي محمد ﷺ في التشهد الأخير، فبحثت في الأقوال فوجدت أن هذا رواية عن الإمام أحمد، وقولٌ للإمام الشافعي لم يختلف عليه، ومعه إسحاق بن راهويه.

ذكر الحافظ ابن كثير: أن أحد المالكية في تفسيره، أنه لم يحسن في التعبير عن مذهب الإمام الشافعي في هذا، وأنه أساء الأدب إليه، أو أنه رد عليه، فبحثت في الكتب المتوفرة عندي، كتاب تفسير القرطبي؛ لأنه مالكي، وكتاب ابن جزيل، هو أيضًا متقدم على ابن كثير، فلم أجد ما يشير إليه ابن كثير، مع أن القرطبي قال: وشذ الشافعي، ونقل الإجماع أيضًا على خلاف مذهب الشافعي، ولكنه ذكر من وافقه أيضًا، فأستبعد أن يكون هو المراد، ولكن على كل حال الأسعد بالأدلة في هذا الموضوع هو الإمام الشافعي، وحكاية الإجماع هنا مع مخالفة الشافعي من أغرب ما يكون، الإمام الشافعي إذا كان له رأي كيف تحكون الإجماع؟

أما ما قبل الشافعي فهناك عدد من الصحابة، والتابعين يذهبون إلى هذا القول، القول الذي ذهب إليه الإمام الشافعي من وجوب الصلاة على النبي محمد ﷺ في التشهد الأخير.

على كل حال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أطال في هذا الموضوع، ووقف مع من يفسر الصلاة، صلاة الله ﷻ على نبيه أنه بمعنى الرحمة، وقف على هذا الموضوع وقفةً طويلة؛ لأن هذا القول هو عليه الأكثر حتى

من المفسرين، وأبطل هذا القول أكثر من خمسة عشر وجهًا، من تلك الوجوه، أذكرها هكذا باختصار يقول:

الوجه الأول: أن الله سبحانه فرق بين الصلاة على عباده، ورحمته فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٦:١٥٧].

الوجه الثاني: أن صلاة الله سبحانه خاصة بأنبيائه، أما رحمته فوسعت كل شيء، ليست خاصة بأنبيائه.

فمن فسرها بالرحمة فسرها ببعض ثمراتها، ولم يفسرها بكامل معناها.

الوجه الثالث: أنه لا خلاف في جواز الترحم على المؤمنين، واختلف السلف، والخلف في جواز الصلاة على غير الأنبياء على ثلاثة أقوال، مما يدل على أن هناك فرق.

لا أدرى هل أنتم معي ولا لا؟

الطلاب: معك.

الشيخ: الوجه الرابع: لو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقامت مقامها في امتثال الأمر، وأسقطت الوجوب عند من أوجبها إذا قال: اللهم ارحم محمدًا، وآل محمدٍ.

ولكن هل هو هكذا؟

لا ليس هكذا.

الوجه الخامس: لا يقال لمن رحم غيره، ورق عليه فأطعمه، أو سقاه، أو كساه لا يقال أنه صلى عليه، ولكن يقال أنه رحمه.

السادس: أن الإنسان قد يرحم من يبغضه، ويعاديه فيجد في قلبه له رحمة، ولكن ما يصلي عليه.

الوجه السابع: أن الصلاة لابد فيها من كلام، فهي ثناءٌ من المصلي على من يصلي عليه، وتنبيهٌ به، وإشارةٌ لمحاسنه، ومناقبه، وذكره.

كما ذكرت أنا في معنى الصلاة، أما الرحمة فلا يلزم أن تنطق في التعبير عنها، هي شيء قلبي.

الوجه الثامن: أن الله ﷻ فرق بين صلاته، وبين صلاته ملائكته، وجمعهما في فعلٍ واحد فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وهذه الصلاة لا يجوز أن تكون هي الرحمة، إنما هي ثناءه، وثناء ملائكته، ولا يقال الصلاة لفظًا مشترك، ثم ذكر في الملائكة إذا كان الله ﷻ يرحمه، إذا يرحمونه، أو يدعون له؟

الرحمة من الله ﷻ.

ثم يقول في الوجه التاسع: أن الله سبحانه أمر بالصلاة عليه عقب إخباره أنه وملائكته يصلون عليه، والمعنى: أنه إذا كان الله، وملائكته يصلون على رسوله فصلوا أنتم أيضًا عليه، فأنتم أحق بأن تصلوا عليه، وتسلموا تسليمًا لما نالكم ببركة رسالته، ويمن سفارته من شرف الدنيا والأخرة.

ومن المعلوم أنه لو عبر عن هذا المعنى بالرحمة لم يحسن موقره، ولم يسحن النظم فينقض اللفظ، والمعنى فإن التقدير يصير إلى أن الله وملائكته ترحموا، يعني تترحم، ويستغفرون لنبيه فادعوا أنتم وسلموا.

أما على هناك الصلاة كلها من الله ﷻ، ومن أنبيائه، ومن ملائكته، ومنهم مع أن المعاني تختلف.

طبعًا هنا أيضًا دخل في مسائل أخرى.

الوجه العاشر: أنه ثبت عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: «**أنه من صلى عليه مرةً صلى الله عليه بها عشرا**»، وأنه ﷻ قال له: «**إنه من صلى عليك من أمتك صليت عليه بها عشرا**»، وهذا موافق للقاعدة المستقرة في الشريعة: أن الجزاء من جنس العمل.

فصلاة الله على المصلي على رسوله جزاءٌ لصلاته هو عليه، ومعلومٌ أن صلاة العبد على رسول الله ليست هي رحمةٌ من العبد لتكون صلاة الله عليه من جنسها، وإنما هي ثناءٌ على الرسول، وإرادةٌ من الله أن يُعلي ذكره، ويزيده تعظيمًا وتشريفًا.

إلى أخر ما ذكرت في معنى الصلاة عليه.

الوجه الحادي عشر: أن أحدًا لو قال عن رسول الله ﷺ: رَحِمَهُ اللهُ، أو قال: رسول الله رَحِمَهُ اللهُ بدل ﷺ، لبادرت الأمة إلى الإنكار عليه، وعدوه مبتدعًا غير موقرٍ للرسول ﷺ، ولا مصليًا عليه، ولا مثنى عليه

لما يستحقه، ولا يستحق أن يصلي الله عليه بذلك عشر مرات، ولو كانت الصلاة من الله الرحمة لمن يمتنع شيءٌ من ذلك.

الوجه الثاني عشر: أن الله سبحانه قال:﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور:٦٣]، فأمر سبحانه أن لا يدعى رسوله بما يدعوا الناس بعضهم بعضا، بل يقال: يا رسول الله، ولا يقال: يا محمد.

كلامه طويل، يقول: فهو هذا إذا كان في خطابه، فهكذا في مغيبه، لا ينبغي أن يجعل ما يدعوا به له من جنس ما يدعوا لنا به البعض، بل يدعى له بأشرف الدعاء، وهو الصلاة عليه، ومعلومٌ أن الرحمة يدعى بها لكل مسلم، بل ولغير الآدمي من الحيوانات كما في دعاء الاستقاء: «**اللهم ارحم عبادك، وبلادك، وبهائمك**».

الوجه الثالث عشر: أن هذه اللفظة لا تُعرف في اللغة الأصلية بمعنى الرحمة أصلاً.

الوجه الرابع عشر: أن يسوغ، بل يستحب لك واحدٍ أن يسأل الله أن يرحمه لنفسه، بل يستحب أن نسأل الله ﷻ أن يرحمنا.

ولكن هل نسأله أن يصلي علينا؟

الوجه الخامس عشر: أن أكثر المواضع التي تستعمل فيها الرحمة أن لا يحسن ألا تقع فيها صلاة، ثم ذكر المواضع.

ثم ذكر قولاً أخر في هذا الموضوع، وهو قول من يقول: أن الصلاة، صلاة الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ ليست بمعنى الرحمة لماذا؟

يعني عكس هذا القول، لأن الرحمة هي رقةٌ في القلب، والله ﷻ منزهٌ عن ذلك.

ثم قال: أن هذا عرقٍ جهمي ينض من قلبه على لسانه.

عنده مصيبة في قلبه، عنده انحرافٌ في قلبه، فهذا الذي يجبره على هذا القول، ثم رد عليه بتعبير جميل: عرق جهمي ينض من قلبه، يسير من قلبه على لسانه.

ثم تحدث في هذا الموضوع، كيف نثبت صفات الله ﷻ بكلامٍ جميلٍ جدًا.

على كل حال هذا معنى الصلاة على النبي محمدٍ ﷺ.

ثم قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، نحن مأمورون بالصلاة على النبي محمد ﷺ، ومن يكون موقفه عكس المطلوب، بل يؤذي الله ورسوله؟

﴿ لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، هذا ملعون، ذكرت أنا في الدرس أمس أن الفعل، أو اللفظ الذي يكون موضوعًا للأذى، أو يستعمل في الأذى، ويكون واضحًا فيه، ويفعله هذا الذي يؤذي النبي ﷺ يفعله مستشعرًا لمعناه، ولأدائه يكون ملعونًا، ويكون كافرًا، ويجب قتله، وعلى مذهب شيخ الإسلام لا يجوز استتابته، وبينه وبين الله ﷻ، وعلى مذهب الجماهير يستتاب مثل أنواع الردة الأخرى، أما هنا شيخ الإسلام رجح أن هذا الكافر لا يستتاب، هذا يقتل ردةً ولا يستتاب.

ألف تقي الدين السبكي والد الدين السبكي، ألف كتابًا في نفس الموضوع، كتاب شيخ الإسلام: الصارم المسلول على شاتم الرسول، وكتاب السبكي: السيف المسلول على من سب الرسول.

طبعًا ألفه بعد تأليف شيخ الإسلام، ولكن مع ذلك سبحان الله تفاوت عظيم جدًا بين الكتابين في مادتهما، وفي الاستدلال، تفاوت عظيم جدًا، وواضح من الكتاب أن السبكي قد اطلع على شيخ الإسلام، هذا ذكره المحقق، وذكر موضعين فيها إشارة إلى شيخ الإسلام، يشير إليه بما لا يليق به.

على كل حال رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورد على شيخ الإسلام في هذا الموضوع أنه يستتاب، وأنه حكمه مثل حكم بقية المرتدين.

ثم قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨]، فيما يتعلق الصلاة على النبي ﷺ سبق أيضًا قول الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٣]، ذكر شيخ الإسلام الفرق بين صلاة الله على المؤمنين، وصلاته على نبيه محمد ﷺ: أن الله بدأ بنفسه هنا، وهناك أيضًا، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ [الأحزاب:٤٣]، هنا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، بدأ بنفسه، وبملائكته هنا، وهناك، ولكن لم يؤيِّه بالمؤمنين، على تعبير شيخ

الإسلام، هناك يقول: لم يؤيِّه بالمؤمنين، لم يؤيِّه معناه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

يقول شيخ الإسلام: لذلك يقال في الخطبة، الخطباء هكذا يقولون، ليس معناه أن هذا هي السنة، الملائكة يقولون: إن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وأيه بالمؤمنين من بريته، وأيه: يعني طلب منهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ولم يذكر هذا في يتعلق بالمؤمنين.

يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٥٨]، هناك هذا الفرق في الصلاة، هنا هذا الفرق في الأذى، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وهناك ماذا قال؟

﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [الأحزاب:٥٧]، الفرق واضح، حتى ما ذكره الله ﷻ عن المؤمنين خطير جدًا، يقول شيخ الإسلام: من آذى مؤمنًا بغير ما اكتسب سواءً كان حيًا، أو ميتًا فله من هذه الآية نصيب.

سبحان الله، ومن كان مجتهدًا في ذلك فالله أعلم بحاله.

مثلاً: هناك متبدع له كلام سري، وهذا الكلام يجيب أن يرد عليه، فأحدنا يذكره، ويرد عليه، هذا اجتهاد، ففيه نصر للسنة، الله أعلم بحال أحدنا في هذا، حتى هنا لابد أن تتذكر هذه الآية، لا تزيد عن الحاجة، قد يكون رخص لك بقدر الحاجة، أما أن تزيد عن الحاجة لا يجوز.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، الله يستر، موضوع خطير يحتاج أن يتناوله الناس، وخاصةً ما يكونون ميتين، أو ما يكونون في وضعٍ لا يؤهلهم أن يدافعوا عن أنفسهم.

سبحان الله نحن ننهشهم يمينًا، ويسارًا بدون رقيب، ولا نعلم أن هذا كله يسجل علينا.

ثم ذكر الله ﷻ حكمًا يتعلق بالحجاب.

يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٥٩].

بدأ بأزواجه لشرفهن، وعظيم مكانتهن؛ لارتباطهن بالنبي ﷺ.

هذه آية الحجاب، هذه الآية، وما سبقت في قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖ﴾ [الأحزاب:٥٣]، وكذلك ما سبق في سورة النور: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَا﴾ [النور:٣١]، ثم: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١]، ولكن ما هو الحجاب؟ ماذا كان، وما الذي طلب من المؤمنين؟ يحتجبن عن ماذا، وما الذي كانت تظهره؟

هذه مسألة لابد أن يبحث فيها من البداية، لماذا كان الحجاب؟

هل كن تظهرن الرأس مثلاً، والأعناق مثلاً، والصدور مثلاً، هكذا كانت؟

طبعًا ليس هذا، ذكرت بعض الصور في تبرج الجاهلية، قطعًا الذي يكون هكذا، إذًا ماذا كان الحجاب؟

ذكرت عائشة رضي الله عنها: أن مسطح كان يراها قبل الحجاب، إيش معنى هذا؟

كان يراها، هل كانت تكشف له غير الوجه قبل الحجاب؟

لا، قضية الحجاب هي قضية تتعلق بالوجه، ولكن هناك آيات قد استدل ببعضها بعض من ذهب إلى أن الوجه، أو إظهار الوجه ليس من الحجاب.

مثلاً في سورة النور في قول الله ﷻ: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١]، في نفس الآية، قالوا: إلا ما ظهر منها المراد به ماذا؟

الطلاب: الوجه، والكفين.

الشيخ: الوجه والكفين، هذا قول من؟

الطلاب: الطبري.

الشيخ: آه.

الطالب: الطبري.

الشيخ: أحسنت، هناك يقول الطبري: بإظهار الوجه، وهنا الطبري نفسه يقول: بستر الوجه، هل هناك تعارض بين أقوال الطبري؟ ولماذا الناس يرون قول الطبري هناك، ولا يرون قوله هنا؟

كذلك أقوال المفسرين، قول ابن عباس رضي الله عنه، وقول بن مسعود رضي الله عنه، وأقوال التابعين التي فيها أن ما ظهر منها هو الوجه والكفان، هل هذا للأجانب، أو للأقارب؟

أنت لما تقرأ نصوصهم، وتجمعها يظهر لك جليًا أن هذا للأقارب، والمحارم، وليس للأجانب.

وهناك خلط في هذا الموضوع، بسب هذا الخلط تضرب الأدلة بعضها ببعض، وتتجزأ هناك، وبالتالي يذكرون سلسلة طويلة من الأثار، وقال فلان، لا ليس هناك تضارب في الأقوال، وإنما الأدلة كلها منسجمة، وليست فيها تعارض وتناقض، وأن ما ظهر منها هذا للأقارب، وليس للأجانب.

الوقت لا يمكننا أن نفصل فيه، ولكنه هذه الخلاصة، ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور:٣١]، هذا للأقارب، وليس للأجانب.

في الأقوال نفسها التي فيها: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور:٣١]، الوجه والكفان، فيها أقوال القائلين ما يدل على أنهم الأقارب، وليس الأجانب، وهذا يظهر بعد ما تجمع الأقوال كلها، وتجمع الأثار كلها.

مثلاً: عبد الله بن عباس، لابد أن تنقل أقواله كلها في هذا الموضوع حتى يتبين لك أنه يريد هذا، وهذا.

أما أن تأخذ من هنا شيئًا، ومن هنا شيئًا، ثم تكون منظومةً تريدها أنت، فليست الشريعة تابعة لك.

أيضًا هناك آية أخرى، لابد أن نقرأ، وننظر فيها في هذا الموضوع، وهي الآية التي تتعلق بالعجائز.

الطالب: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النور:٦٠].

الشيخ: أكمل الآية.

الطالب: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور:٦٠].

الشيخ: ﴿أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ [النور:٦٠]، ما المراد بالثياب؟

المفسرين إن لم يكن كلهم أن المراد بالثياب: الخمار.

طيب إذا وضعت الجلباب، وليس الخمار، الجلباب الذي نحن نسميه الآن العباية أظن، الذي يكون لجميع الجسم، ولا يكون ملتصقًا بالجسم، أما الخمار فيكون مشدودًا.

هناك ثوب يكون فوقه خمار، ويكون فوقه جلباب، هذا الذي ورد في هذه الآية، ماذا يقول الله ﷻ؟

﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٩]، هذا الجلباب يكون يعم الجسد كله، وهذا الجلباب كما تقول عائشة رضي الله عنها: تسدل المرأة جلبابها من فوق رأسها على وجهها، أخرجه سعيد بن منصور، وهو أثرٌ صحيح.

أيضًا تقول عائشة أم المؤمنين: فخمرت وجهي بجلبابي.

ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: تدلي الجلباب على وجهها، أخرجه أبو داود في مسائله، وهو أثرٌ صحيح.

هذا كله يدل على أن هذا الجلباب يستر به الوجه، وما الذي استثني من العجوز؟ وما الفرق بينها وبين الشابة؟

الوجه، لا يجوز للشابة أن تضع الجلباب، أما بالنسبة للعجوز يرخص لها ما لا يرخص للشابة.

هذه الآيات كلها لو تُجمع، وتُذكر وتجمع أقوال السلف فيها يتضح الموضوع بجلاء.

أما الآن نحن كما ذكرت سابقًا، الذين يبحثون في الحجاب يستبعدوا موضوع الوجه أصلاً، قالوا: الذي يري تغطية الوجه هذا رجعي، وهذا كيت، وهذا كيت، ولا تهمنا مثل هذه الأقوال، هي أقوال المتطفلين على العلم، وليست أقوال علماء.

على كل حال، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٩]، يدنين عليهن من فوق، من جلابيبهن، يقول الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٥٩]، في الآية إشارة إلى وضعٍ ذكره المفسرون، ذكروا الآثار في هذا، هذا الوضع: أن بعض الفساق كانوا يتعرضون للحرائر، ظننًا منهم أن هذه إماء، فهذه فائدة من

فوائد الحجاب أن أولئك الفساق سيعرفون أن هذه حرائر، وهذه إماء، يقول الله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٩]، قلت لكم موضوع الحجاب موضوع طويل، وعريض ولا يكفيه هذا الوقت.

ثم قال الله تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب:٦٠].

المرض هنا مرض الشهوة، والمرجفون في المدينة هم الذين يشيعون الأخبار الكاذبة، هم المرجفون في المدينة، ﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٦٠]، أي لنسلطنك عليهم.

قال تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ [الأحزاب:٦٠]، عن ماذا؟

لم يذكر الله ﷻ، لم يذكرهم، عن كل وسيلة يعدونها سواءً قولاً، أو سواء فعلاً، لم ينتهوا من هذا كله، ﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ ﴾ [الأحزاب:٦٠]، أي في المدينة، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب:٦٠]، ﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾ [الأحزاب:٦١]، أي من رحمة الله، ﴿ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾ [الأحزاب:٦١]، أي أينما وجدوا، ﴿ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب:٦٢]، المراد بسنة الله ﷻ أن الله ﷻ لا يفرق بين المتماثلين، ولا يجمع بين المختلفين، هذه هي سنة الله ﷻ، معنى هذا أي أينما وجد فهذا حكمه، هذا الوضع أينما وجد فهذا حكمه، وليس خاصًا بمدينة النبي ﷺ.

ثم قال الله ﷻ: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب:٦٣].

﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [الأحزاب:٦٣]، أي عن وقت القيامة، ومتى ستكون.

يقول الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب:٦٣]، علمها ليس عندك، ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب:٦٣]، قد تكون قريبا، ولكن ليس عندك علمها.

الساعة تكون قريبة، أو بعيدة هذه ليست مهمة، المهم كيف استعدتم لها.

يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب:٦٤:٦٥].

لا تكونوا مثل هؤلاء الذين هم معلنون، الساعة ستقوم، وسيجازى كلٌ بحسب عمله، ولكن لا تكونوا من هؤلاء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا ﴾ [الأحزاب:٦٤:٦٥]، يجدوا لهم المسالك، ﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب:٦٥]، يدفع عنهم الظلم.

ثم ذكر الله ﷻ بعض ما ينتظره هؤلاء الملعونين، وهؤلاء الكفار، ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾ [الأحزاب:٦٦]، أي تحول من ناحية إلى أخرى؛ ليزدادوا عذابًا، ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾ [الأحزاب:٦٦]، نسأل الله ألا نكون منهم، ﴿ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [الأحزاب:٦٦]، هكذا يتمنون، ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب:٦٧]، فأضلونا السبيلا: أي الطريق المستقيم، ما تركونا على الطريق المستقيم.

طبعًا محاجة الضعفاء، والمتكبرين ذكرها الله ﷻ في مواضع كثيرة، وأن المتكبرين سيردون عليهم، وأنكم أنتم إنكم إذًا لظالمون، معنى الآيات أنتم الطاغون، ﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ [سبأ:٣٢].

في سورة سبأ، محاجتهم ذكرها الله ﷻ في سورٍ كثيرة، ويقول: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾ [ص:٦٤]، يتخاصمون فيما بينهم، ومن هذا القبيل.

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:٦٨]، هناك: ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ [ص: ٥٩:٦١]، هذا من هذا القبيل، ولا ينفعهم في شيء.

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:٦٨]، طيب حتى لو آتوا ضعفين من العذاب، ولعنوا لعنًا كبيرًا ما الذي تستفيدونه أنتم.

ثم ختم الله ﷻ هذه السورة بما بدأها به من بيان عظيم مكانة النبي ﷺ.

يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب:٦٩].

لا تكونوا مثلهم، أولئك أذوا موسى مع أن موسى كان عند الله وجيها.

وجيهًا: أي عظيم القدر، والجاه.

ونبينا محمد ﷺ هو أعظم مكانةً حتى من موسى عليه السلام، فالله ﷻ ينهى المؤمنين أن يصدر منهم شيئًا فيه أذى للنبي ﷺ، سواءً كان تصريحًا أو تلميحًا أو إشارةً، وينهاهم أن يكونوا مثل أولئك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب:٧٠].

وبعد هذه الأحكام، وبعد هذه المأمورات، وبعد هذه المنهيات يأمر الله ﷻ بأمرٍ عام يجمع هذا كله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب:٧٠]، من تقوى الله ﷻ أن تقولوا قولاً سديدا، والقول السديد: هو القول الصواب.

ثم قال تعالى: ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧١].

من فوائده أن الله ﷻ يصلح لكم أعمالكم، الجزاء من جنس العمل، ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧١].

ثم قال الله ﷻ: إن عرضنا ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢].

ذكر المفسرون أقولاً كثيرة في الأمانة، الأمانة ذكرها ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ذكر الأقوال، ثم ذكر الخلاصة: أن المراد بالأمانة هي التكاليف من المأمورات، والمنهيات.

وقال: أن جميع الأقوال تجتمع على هذا، التكاليف الشرعية من الأوامر، والنواهي.

ذكر أقولاً كثيرة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ [الأحزاب:٧٢]، وهذا العرض ليس عرضًا مجازيًا كما ذهب إليه بعض المفسرين المتكلمين، إنما هو عرضٌ حقيقي، كيف؟

ما ندري.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ [الأحزاب:٧٢]، لماذا؟

لما قد يكون، لما قد تترتب عليه التبعات، ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢]، حملها الإنسان؛ لأنه ظلوم، وجهول.

والظلم، والجهل لا يكاد يخلوا منه الإنسان، فلذلك لابد أن يستمر على التوبة والاستغفار؛ لأنه لا يكاد يخلوا من الظلم، والجهل.

ثم ذكر الله ﷻ أقسام الناس في حمل الأمانة، وأنهم ثلاثة أقسام، قسمان في جانب، وقسمٌ في جانب.

أما القسمان الأولان:﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ [الأحزاب:٧٣]، وهذا القسم رفض ما حمل من هذه التكاليف، فلهم العذاب، ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ [الأحزاب:٧٣].

القسم الأخير: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [الأحزاب:٧٣]، ذكر التوبة؛ لأنها منسابة لظلم الإنسان، ولجهله، وذكرت أنه لا يكاد يخلوا الإنسان من هذا، ولكن عليه أن يسدد ويقارب، والله

ﷻ يتوب على المؤمنين والمؤمنات، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٣]، هذا أيضًا مناسبٌ جدًا لهذا السياق، وأن الظلم، والجهل إذا وجد في الإنسان لا يكاد يخلوا منه، فإن الله ﷻ يكاد يتوب عليه، ويغفر له، ويرحمه إذا سدد وقارب.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وأجمعين.